دُنيا المُراهَقة

الأستاذ الدكتور
مُحمَّد عُمر الحاجي

دار المكتبي


دُنيا المُراهَقة



دُنيا المُراهَقة

الأستاذ الدكتور
مُحمّد عُمر الحاجيّ

دار المكتبي

الطبعة الأولى
2007 - 1427

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية - دمشق - حلبوني - جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ - هاتف ٢٢٤٨٤٣٣ - فاكس ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy



من وحي التنزيل

قال الله تعالىٰ :

﴿ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴾ [سورة الروم : ٥٤]

صدق الله العظيم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تمهيد

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا علىٰ الظالمين ، وصلاة الله وسلامه علىٰ من أرسله الله رحمةً للعالمين ، وحجّةً علىٰ الخلق أجمعين ، سيّدنا وإمامنا وقائدنا محمد ، وعلىٰ آله وصحبه ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، أما بعد :

فقد قسّم البيان الإلهي حياة الإنسان إلى مراحل ثلاثة ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴾ [الروم : ٥٤] .

فالمرحلة الأولى هي مرحلة الضعف ـ مرحلة الطفولة ـ وهي المرحلة التي يمرّ فيها الإنسان في التسلسل المعرفي لما حوله ، ويعتمد في كل أموره علىٰ أسرته ، وخاصة أمه وأباه .

ثم تأتي مرحلة المراهقة والشباب ، حيث تتحدّد شخصية الإنسان ، وتزداد معارفه ، وتصبح لديه طاقات قوية .

وبعدئذٍ تأتي المرحلة الأخيرة ، حيث الشيب والضعف الجسدي والعقلي ونحو ذلك ، ويكون الإنسان في هذه المرحلة معتمداً على أولاده وغيرهم .

لذلك ، فأخطر مرحلةٍ من مراحل الإنسان هي مرحلة الشباب والمراهقة ، والسؤال الذي يطرح نفسه : إلىٰ أي مدىٰ يعتني المجتمع بالمراهقين والشباب ؟!

مما يُؤسف له أن قلّة قليلة من المختصّين والتربويين يتوجّهون إلىٰ الاهتمام بمشاكل المراهقين ، ولعلّ هذا أهم الدوافع لكتابة هذا الكتاب المختصر ، حيث كان التركيز فيه علىٰ بعض الجوانب ، أهمها :

ـ ما مدى خطورة المراهقة ؟

وما الحديث القرآني عن المراهقة ؟

وما ظواهر مرحلة المراهقة ؟

وما أهم العوامل المؤثّرة في تكوين شخصية المراهق ؟

وكيف يتم تربية العوامل المحددة لشخصية المراهق ؟

ثم أهم الأمور الفقهية التي يجب أن يطلع عليها المراهق ـ ذكراً وأنثىٰ ـ كالاحتلام ، والاستحداد ، واللواط ، والسحاق ، والمذي والودي والمني ، والاستمناء باليد (العادة السرية) ، والجنابة ، والختان والخفض ، والاستحاضة ، والحيض ، والطهر ، والقرء ، والنفاس ، وبعض القضايا المتعلقة بالغريزة ، ثم بعض المسائل المتعلقة بأمور الترفيه واللهو . . . ! !

أجل !

لقد تعمّدتُ في هذا الكتاب التيسير لا التّعسير ، والاختصار لا التطويل ، ومحاكاة القرّاء بلغة العصر ، بعيداً عن اللغة المشبعة بالرموز والاصطلاحات القديمة .

وفي كثير من الأحيان أشرت إشاراتٍ فقط ، وأحلت القارئ إلى المراجع والمصادر .

وكم كنت أتساءل بيني وبين أصدقائي : لماذا لا نكون صريحين مع القضايا المهمة في حياتنا ـ كمسائل المراهقة مثلاً ـ ؟

ولماذا ندع المراهقين والمراهقات يبحثون عن قضايا تمسّ مرحلتهم ضمن رُكام الكتب التجارية التي تنتشر في الأسواق ،

وتحمل عناوين مغرية صحفية ، وعلىٰ أغلفتها صورٌ تشجيعية ؟!

لقد بيّنتِ الشريعة الإسلامية جوهر المسألة ، وذلك بقوله تعالى : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام : ١٥٣] ، والهدف أولاً وأخيراً ما جاء في القرآن علىٰ لسان نبيّ الله شعيب عليه السلام : ﴿ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ [هود : ٨٨] .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

* * *

الباب الأول

في رحاب مرحلة المراهقة

الفصل الأول

مفهوم المراهقة ـ لغةً واصطلاحاً ـ

رهقه ، كفرح : غشيه ولحقه ، أو دنا منه ، سواءٌ أخذه أو لم يأخذه .

والمرهق ، كمكرم : من أدرك ، وكمعظِّم : الموصوف بالرهق ، ومن يُظنّ به السوء ، ومن يغشاه الناس والأضياف .

وراهق الغلام : قارب الحُلُمَ ، ودخل مكة ، مراهقاً : مقارباً لآخر الوقت حتى كاد يفوته التعريف[1] .

.... ورهقه الأمر : غشيه بقهر ، يقال : رهقته وأرهقته ، نحو ردفته وأردفته ، وبعثته وابتعثته ، قال تعالىٰ : ﴿ وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ﴾ [يونس : ٢٧] .

وقال : ﴿ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴾ [المدثر : ١٧] .

---

(١) القاموس المحيط للفيروزآبادي : ١١٨١ .

ومنه : أرهقتُ الصلاة : إذا أخّرتها حتىٰ غشي وقت الأخرىٰ[1] .

وأما علماء النفس فلهم تعريفات مختلفة ، من ذلك تعريف الدكتور مصطفى فهمي :

. . . إن كلمة المراهقة : Adolcere مشتقة من الفعل اللاتيني Adolcere ومعناه التدرّج نحو النضج البدني والجنسي والعقلي والانفعالي .

وهنا يتضح الفرق بين المراهقة وكلمة البلوغ : pubert ، والتي تقتصر علىٰ ناحية واحدة من نواحي النمو ، وهي الناحية الجنسية .

فنستطيع أن نعرّف البلوغ بأنه : نضوج الغدد التناسلية واكتساب معالم جنسية جديدة تنتقل بالطفل من فترة الطفولة إلىٰ فترة الإنسان الراشد[2] .

لكن بعض العلماء يرجعون المراهقة إلىٰ أصلها العربي ، مثل الدكتور عبد الحميد الهاشمي الذي قال : المراهقة لغة تفيد الاقتراب والدنو من الحلم ، يقال : رهق إذا غشى أو

---

(١) مفردات ألفاظ القرآن للأصفهاني : ٣٦٧ .

(٢) علم النفس : أصوله وتطبيقاته : ٣٠٢ .

لحق ودنا ، فراهق كقارب وشارف وَزْناً ومعنىً ، والمراهق بهذا هو الفتىٰ الذي يدنو من الحلم واكتمال الرشد .

والرهق أيضاً هو الطغيان والزيادة ، وذلك يمثل الحياة الانفعالية للمراهق .

والمراهقة ـ في دراستنا النفسية العربية ـ ترجمة لكلمة Adolecerce ، وأصل معناها اللاتيني هو الاقتراب المتدرج من النضج .

وتبدأ المراهقة بالبلوغ pubert ، ومعناها العلمي هو بدء ظهور المميزات الجنسية الأولية والثانوية نتيجة لنضج الغدد التناسلية .

وتبدأ المراهقة ما بين (١١ـ١٢) سنة من العمر لدىٰ البنات ، وعند البنين ما بين (١٢ـ١٤) سنة ، وتمتد مع البنات إلى السابعة عشرة تقريباً ، أما لدى البنين فإنها تمتد إلى حوالي الثامنة عشرة أو التاسعة عشرة ، والمراهقة في أصلها عملية عضوية حيوية[١] .

وهناك طائفة من علماء النفس لا تفرّق بين البلوغ

---

(١) علم النفس التكويني : أسسه وتطبيقاته : ١٩٠ـ١٩١ .

والمراهقة ، وتعتبر الكلمتين مرادفتين ، كالدكتور محمد مصطفىٰ زيدان[1] وغيره .

* * *

---

(١) النمو النفسي للطفل والمراهق ونظريات الشخصية : ١١٥ ، وسيكولوجية النمو : الطفولة والمراهقة للدكتور خليل معوّض : ٢٨٥ .

الفصل الثاني

ما قبل سنّ المراهقة

رسم البيان الإلهي الخط البياني لمراحل حياة الإنسان ، وذلك في قوله تعالىٰ : ﴿ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴾ [الروم : ٥٤] .

وفي تفسير وبيان معاني هذه الآية ، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالىٰ :

. . . ينبِّه تعالىٰ علىٰ تنقّل الإنسان في أطوار الخلق حالاً بعد حال ، فأصله من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة ، ثم يصير عظاماً ، ثم تُكسىٰ العظام لحماً ، وينفخ فيه الروح ، ثم يخرج من بطن أمه ضعيفاً نحيفاً واهن القوىٰ ، ثم يشبّ قليلاً قليلاً حتىٰ يكون صغيراً ، ثم حدثاً ثم مراهقاً ثم شاباً ، وهو القوة بعد الضعف ، ثم يشرع في النقص فيكتهل ثم يشيخ ثم يهرم وهو الضعف بعد القوة ، فتضعف الهمة

والحركة والبطش ، وتشيب اللمّة ، وتتغير الصفات الظاهرة والباطنة ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٖ ضَعۡفٗا وَشَيۡبَةٗۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ﴾ أي يفعل ما يشاء ويتصرف في عبيده بما يريد ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡقَدِيرُ﴾[1] .

إذاً :

مراحل عمر الإنسان المختلفة هي :

أ ـ **الجنين** : وجمعها أجنّة ، وتعني الكلمة ـ في اللغة ـ الولد ما دام في بطن أمه .

ب ـ **الطفولة** : وهو ما كان دون سنّ التمييز ، بحيث لا يدري من هو لصغره ، ولم يبلغ حدَّ الشهوة ، ولا يُطيق النكاح ، ولا يميّز عورات النساء والرجال لصغره ، مصداق ذلك قوله تعالى : ﴿. . . أَوِ ٱلطِّفۡلِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يَظۡهَرُواْ عَلَىٰ عَوۡرَٰتِ ٱلنِّسَآءِۖ﴾ [النور : ٣١] .

ج ـ **الصبي والغلام** : اختلف العلماء في تحديد هذين الاصطلاحين ، فمنهم من ذهب إلىٰ أن الصبي هو الإنسان من حين يولد إلى أن يُفطم .

---

(١) تفسير القرآن العظيم : ٥/ ٣٧٢ـ٣٧٣ .

ومنهم من اعتبر الصبي غلاماً ، ومنهم من اعتبر الغلام منذ الولادة إلى سبع سنين .

قال القاضي عياض : الغلام هو الصبي ، من حين يولد في جميع حالاته إلى أن يبلغ[1] .

د ـ **الفتىٰ** : من الفتوة ، ويطلق على الذكر لفظة الشاب ، وعلى الأنثىٰ لفظ الشابة .

ويحدد القانون السوري فترة الفتوة بما يلي : هو اسم يطلق على الحدث الذي بلغ الخامسة عشرة ولم يتجاوز الثامنة عشرة ـ وهي مرحلة المراهقة ـ .

هـ ـ **التمييز** : اختُلف في تحديد مدتها ، ورجّح الإمام النووي رحمه الله تعالىٰ عدم تحديدها بمدة محددة : (ولا ينضبط التمييز بسنٍّ ، بل يختلف باختلاف الأفهام)[2] .

و ـ **المراهقة** : واختُلف في تحديد مدتها ، لكن تدور تعريفاتها حول ما يلي :

. . . من قارب الحُلُمَ أو البلوغ ولم يحتلم بعد .

---

(١) للتوسّع يراجع : الكليات : ٥٦٥ ، لسان العرب : ٢/ ٤٣٩ ، تهذيب الأسماء والصفات : ٤/ ٦٢ ، فتح الباري : ٥/ ٢٣٠ .
(٢) تحرير التنبيه للنووي : ١٥٣ .

وقال الجرجاني : المراهق : صبي قارب البلوغ ، وتحرّكت آلته ، واشتهى[1] .

وجاء في موسوعة علم النفس تعريف آخر لفترة المراهقة ، وهو :

المراهقة : مرحلة من مراحل التطور تبدأ من البلوغ ، وتتسم بحشدٍ من التغيرات الفسيولوجية ، والنفسية ، والاجتماعية بجنباتها المختلفة ، ويقصدون بالبلوغ النمو الفسيولوجي الجنسي فقط ، وبما أن الفكر الغربي يعدُّ البلوغ داخل ضمن فترة الطفولة ، فقد عدّ بعضهم المراهقة مرحلة متوسطة بين الطفولة والرشد[2] .

وقسم بعض العلماء فترة المراهقة إلى ثلاثة أقسام ، هي :

١ـ المراهقة المبكّرة : وتبدأ من سنّ الثانية عشرة إلى تمام الرابعة عشرة .

٢ـ المراهقة المتوسطة : وتبدأ من سنّ الخامسة عشرة إلى تمام السابعة عشرة .

---

(١) التعريفات : ٢٠٨ .

(٢) الموسوعة : ٧٠٤ ، والمعجم الفلسفي : ٢/ ٣٦٢ .

٣ـ المراهقة المتأخرّة : وتبدأ من سنّ الثامنة عشرة إلى سن الحادية والعشرين[١] .

ز ـ الرشد :

لغةً هو : الاستقامة علىٰ طريق الحق ، مع تصلّب فيه ، وقيل : هو إصابة الحق .

واصطلاحاً يعني : صلاح الإنسان في أمور المال فقط .

ويفرّق علماء النفس والتربية بين الرشد البدني ، والرشد النفسي ، فالرشد البدني : لا يتحقق قبل بلوغ الحادية والعشرين ، بينما يعني الرشد النفسي أن الفرد قد تجاوز مرحلة الطفولة والاعتمادية ، وأصبح مكتمل النمو في كلّ أو معظم جوانبه .

وحددت المادة (١٦٣) من قانون الأحوال الشخصية السوري سن الرشد بثمانية عشرة سنة شمسية كاملة[٢] .

إضافةً إلىٰ ذلك ، فهناك مراحل أخرى : كالتكليف ، والبلوغ ، ونحو ذلك . . لكن لم ندخلها في التقسيم

---

(١) علم نفس النمو للدكتور حامد زهران : ٣٣٥ـ٣٣٦ .

(٢) للتوسع يراجع : القانون المدني السوري : ١٧ ـ ١٨ ، المدخل الفقهي للزرقاء : ٢/ ٧٩٥ ، أصول الفقه للشيخ محمد أبو زهرة : ٣١٦ .

المعتمد ، لأنها متداخلة مع المراحل الأخرىٰ ـ والله أعلم ـ .

وفي مرحلة الطفولة يجب علىٰ الآباء والأمهات أن يؤدبوا أولادهم ، ويربّوهم ، سواءً كان ذلك فيما يتعلّق بالتربية الجسمية ، أو النفسية والروحية والوجدانية ، أو العقلية ، أو السلوكية والاجتماعية ، وعليهم أن يقوموا بحضانة أطفالهم ، خاصة الأم .

وعلىٰ الآباء والأمهات أن يقوموا ببعض الأمور الفقهية ـ والتي تتعلّق بمرحلة الطفولة ـ مثل : التأذين في أذن المولود ، والإقامة في الأذن الأخرىٰ ، وتحنيكه أي : أن يمضغ الأب تمرةً ثم يدلك حنك الطفل ، وكذلك الختان ، والرضاع .

إذاً : هناك حقوق شرعية مضبوطة تثبت للولد ، أهمها :

أ ـ حق الحياة :

وقد وضعت الشريعة الإسلامية جملةً من الأحكام ، وذلك بهدف حفظ حق حياة الولد ، أهمها :

١ـ حرمة قتل الأولاد : خاصة من خشية الفقر والعالة ، فعن شرحبيل عن عبد الله قال : قلت : يا رسول الله! أيّ الذنب أعظم ؟

قال : « أن تجعل لله نِدّاً وهو خلقك » .

قلت : ثم أي ؟

قال : « أن تقتل ولدك خشية أن يأكل معك » .

قلت : ثم أيّ ؟

قال : « أن تزاني حليلة جارك »[1] .

والقرآن أوضح المسألة في موضعين ، من ذلك قوله تعالىٰ :

﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴾[2] [الإسراء : ٣١] .

٢ـ تحريم العادة البشعة ، وهي وأد البنات : وهذا ما كان عليه أهل الجاهلية الأولىٰ ، وذلك من خلال نظرتهم إلىٰ البنت علىٰ أساس أنها مجلبة للعار ، مجلبة للفقر .

قال تعالى في معرض تصوير تلك الجريمة النكراء : ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن

---

(١) صحيح البخاري : ٤/١٦٢٦ ، صحيح مسلم : رقمه (٨٦) .

(٢) للتوسع يراجع كتاب : الرزق بين الحلال والحرام ، للمؤلف : ١٢٧ـ١٣٥ .

﴿سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓۚ أَيُمۡسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمۡ يَدُسُّهُۥ فِي ٱلتُّرَابِۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ﴾

[النحل : ٥٨ـ٥٩]

وروىٰ المغيرة بن شعبة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « إن الله حرّم عليكم عقوق الأمهات ، ومنعاً وهات ، ووأد البنات ، وكره لكم قيل وقال ، وكثرة السؤال ، وإضاعة المال »[١] .

٣ـ تحريم كل ما يؤدي إلىٰ تخويف الأطفال : سواءً كان ذلك عن طريق إشهار السلاح في وجوههم ، أو كان عن طريق قصف البيوت التي يسكنونها ، أو اختطافهم ، أو الاعتداء عليهم ، وما إلىٰ هناك .

قال الإمام الشيرازي رحمه الله تعالىٰ : . . . وإن كان صبي على طرف سطح ، فصاح رجل ففزع فوقع من السطح ، ومات ضمنه ، لأن الصياح سبب لوقوعه[٢] .

٤ـ تحريم إهمال وضعه الصحي وما إلى هنالك .

---

(١) صحيح البخاري : ٢/٨٤٨ ، صحيح مسلم : رقمه (٥٩٣) .

(٢) المهذب في فقه الإمام الشافعي : ٣/٢٠٣ .

ب ـ حق النسب :

لذلك حرّمت الشريعة الإسلامية التبنّي ، مصداق ذلك قوله تعالىٰ : ﴿ . . . وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴿٤﴾ ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب : ٤ـ٥] .

واهتمت الشريعة كثيراً بمسألة إثبات النسب ، وذلك عن طريق عقد الزواج الصحيح ، وكذلك بتحريم أن تنسب المرأة إلىٰ زوجها من تعلم أنه ليس منه ، وما إلىٰ هنالك من القضايا التي ذكرها الفقهاء .

ج ـ حق الإرضاع :

ودليل وجوب ذلك قوله تعالىٰ : ﴿ ۞ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا

سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾

[البقرة : ٢٣٣]

د ـ حق الإشراف والحضانة :

مصداق ذلك ما رواه عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما : أن امرأة قالت : يا رسول الله ! إن ابني هذا كان بطني له وعاء ، وحجري له حواء ، وثديي له سقاء ، وإن أباه طلّقني ، وزعم أنه ينتزعه مني ، فقال ﷺ : « أنت أحقّ به ما لم تنكحي »[١] .

. . . إضافة إلىٰ حقوق الطفل في الإسلام ، هناك تشجيع علىٰ العناية به وحسن معاشرته ، والمتتبّع لما ورد في سيرة المصطفى ﷺ يرىٰ أمراً عجباً ! ![٢]

فقد روىٰ أبو بريدة رضي الله عنه عن أبيه قال :

كان رسول الله ﷺ يخطبنا ، فجاء الحسن والحسين ، عليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران ، فنزل رسول الله عن المنبر فحملهما ، فوضعهما بين يديه وقال : « صدق الله

---

(١) سنن أبي داود : رقمه (٢٧٧٦) .

(٢) للتوسع يراجع كتاب : إطلالة قرآنية على بيت النبوة ، للمؤلف : ١١٩ـ١٣٧ .

﴿ أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ ﴾ [الأنفال : ٢٨] نظرت إلىٰ هذين الصّبيين يمشيان ويعثران فلم أصبر حتىٰ قطعت حديثي ورفعتهما »[1] .

وروى أبو هريرة رضي الله عنه قال :

قبّل رسول الله ﷺ الحسن بن عليّ ، وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالساً ، فقال الأقرع : إن لي عشرة من الولد ما قبّلت منهم أحداً ، فنظر إليه رسول الله ﷺ ثم قال : « من لا يَرحم لا يُرحم »[2] .

لذلك لا بدّ للولد من اللعب ، وذلك لأن عنده طاقة ذهنية قوية ، وكذلك طاقة جسمية حركية ، فإذا مُنع من اللعب معنىٰ ذلك كُبتت فيه هذه الطاقات وكانت لذلك آثار وخيمة .

أجل !

إن المرحلة التي تسبق مرحلة المراهقة ـ أي : مرحلة الطفولة ـ هي أحد الأسس المهمة في تربية الفرد والجماعة ، وبالتالي ففيها امتداد وتأثير كبير علىٰ كل المراحل الأخرىٰ ، مصداق ذلك قوله ﷺ : « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من

---

(١) سنن الترمذي : رقمه (٥٩٩) .
(٢) صحيح مسلم : رقمه (٢٣١٨) .

ثلاثة : صدقة جارية ، أو علمٍ يُنتفع به ، أو ولد صالح يدعو له »[1] .

* * *

(١) صحيح مسلم : رقمه (١٦٣١) .

الفصل الثالث

حكاية المراهقة في القرآن والسنّة

المراهقة : وهي مصدر الفعل الثلاثي المزيد بالألف (راهق) لم ترد في القرآن الكريم .

لكن الذي ورد مادة (رَهَق) مجرد ومزيد بالهمزة في أوله ، حيث تكرر في القرآن ثماني مرات .

وتكرر ورود مضارع (رهق) الثلاثي المجرد سبع مرات .

من ذلك قول الله تعالىٰ : ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٦﴾ وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ مَّا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۖ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [يونس : ٢٦ـ٢٧] .

. . . لا يغشاها غبرة : ما فيها سواد ولا أثر هوان ما وكسوف بال ، والمعنىٰ لا يعرض عليهم ما يعرض لأهل النار ، أو لا يعرض لهم ما يوجب ذلك الحزن وسوء الحال .

. . . والمقصود بيان خلوص نعيمهم من شوائب المكاره إثر بيان ما منّ الله سبحانه به عليهم من النعيم[1] .

ووردت مادة (رهق) كمصدر ، وذلك في سورة الجن ، قال الله تعالىٰ في الحكاية : ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن : ٦] .

أي : كنا نرىٰ أن لنا فضلاً علىٰ الإنس لأنهم كانوا يعوذون بنا إذا نزلوا وادياً أو مكاناً موحشاً من البراري وغيرها ، كما كانت عادة العرب في جاهليتها يعوذون بعظيم ذلك المكان من الجن أن يصيبهم بشيء يسوءهم ، كما كان أحدهم يدخل بلاد أعدائه في جوار رجل كبير وذمامه وخفارته ، فلما رأت الجن أن الإنس يعوذون بهم من خوفهم منهم زادوهم رهقاً ، أي خوفاً وإرهاباً وذعراً حتىٰ بقوا أشد منهم مخافة وأكثر تعوذاً بهم .

كما قال قتادة ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ أي إثماً ، وازدادت الجن عليهم بذلك جراءة[2] .

---

(١) باختصار من روح المعاني للآلوسي : ١١/ ١٠٣ .
(٢) تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير : ٧/ ١٣٢ .

وقال تعالىٰ في الحكاية :

﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ ۖ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾ [الجن : ١٣] .

. . . ولعل هذا الرهق هو الضلال والقلق والحيرة التي تصيب قلوب من يركنون إلىٰ عدوهم ، ولا يعتصمون بالله منه ويستعيذونه كما هم مأمورون منذ أبيهم آدم وما كان بينه وبين إبليس من العداء القديم ، والقلب البشري حين يلجأ إلىٰ غير الله طمعاً في نفع ، أو دفع الضرّ ، لا يناله إلا القلق والحيرة ، وقلّة الاستقرار والطمأنينة .

. . . وهذا هو الرهق في أسوأ صوره ، الرهق الذي لا يشعر معه القلب بأمن ولا راحة(١) .

أما في السنة النبوية ، فقد وردت كلمة المراهقة عدة مرات ، تكتفي بالإشارة إلىٰ بعضها دون أي تعليق :

. . . عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ قال لأبي طلحة : التمس لي غلاماً من غلمانكم يخدمني حتىٰ

---

(١) في ظلال القرآن ، سيد قطب : ٦/ ٣٧٢٨ .

أخرج إلىٰ خيبر ، فخرج بي أبو طلحة مُردفي وأنا غلام راهقت الحلم ، فكنت أخدم النبي ﷺ إذا نزل ، فكنت أسمعه كثيراً يقول : « اللهم إني أعوذ بك من الهمّ والحزن ، والعجز والكسل ، والبخل والجبن ، وضَلَع الدّين وغلبة الرجال » ثم قدمنا إلىٰ خيبر[1] .

. . . وعن مالك رضي الله عنه أنه بلغه أن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ، كان إذا دخل مكة مراهقاً[2] ، خرج إلى عرفة قبل أن يطوف بالبيت وبين الصفا والمروة ، ثم يطوف بعد أن يرجع .

قال الإمام مالك : وذلك واسع إن شاء الله[3] .

. . . وعن أنس بن مالك رضي الله عنه : أن المشركين لما رهقوا النبي ﷺ وهو في سبعة من الأنصار ورجلين من قريش قال : « من يردّهم عنا وهو رفيقي في الجنة ؟ » .

فجاء رجل من الأنصار ، فقاتل حتىٰ قتل .

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني : ٨٦/٦ .
(٢) أي : إذا تأخر عن الوقت المحدّد ، وخاف أن يفوته الوقوف بعرفة .
(٣) موطأ الإمام مالك : ١/ ٣٧١ .

فلما أرهقوه أيضاً ، قال : « من يردّهم عني وهو رفيقي في الجنة ؟ »

حتى قُتل السبعة .

فقال الرسول ﷺ : « ما أنصفنا إخواننا »[1] .

* * *

(١) مسند الإمام أحمد : ٣/ ٢٨٦ .

الفصل الرابع

خطورة المراهقة!!

لماذا تُعتبر مرحلة المراهقة من أخطر مراحل الإنسان ؟

ولماذا إذا لم يُخطط لاجتياز الشاب هذه المرحلة بأمان وسلام ، لماذا تستمر شقاوة الإنسان ، وإلىٰ ما بعد الموت ؟!

ولماذا إذا اجتازها الشاب بسلام ؛ استمر في سعادة طيلة الحياة ، بل وبعد الممات ؟!

لعل ذلك يأتي من خلال ما تحمله من أبعاد ، فهي المعبر بين طفولة الإنسان ونضجه ، بحيث كما قال العلماء : إذا كان الوضع هو (ولادة) الطفل ، فإن المراهقة هي (ولادة) الرجل أو المرأة!

وإذا كانت ولادة الطفل تستغرق ساعات ، فإن ولادة الرجل أو المرأة تستغرق سنوات!

وفي مرحلة المراهقة ينمو جسم الإنسان ، وتنمو قدراته العقلية ، وينفتح الإنسان علىٰ كل أنواع المعارف ، وتضطرب

أوضاعه النفسية والاجتماعية ، ويبدأ بالاعتماد على نفسه بعد أن كان يعتمد على غيره .

وتزداد حساسيته ، وتضطرب انفعالاته ، وتظهر لديه المشكلات الكثيرة .

والأمر المخيف هنا هو تعرّضه للانحراف ، سواء في الاتجاهات الفكرية أو السلوكية أو الدينية .

ويُلاحظ في مرحلة المراهقة أن النمو الجسمي يسبق النضج العقلي ، لذلك تبدو علىٰ المراهق مظاهر وآيات الرجولة ، كظهور الشاربين ، وزيادة الطول ، والبلوغ الجنسي ، وضخامة الصوت وخشونته وما إلى هنالك .

لكن من جانب آخر فانفعالاته وعقله دون المستوىٰ الموازي لنموه الجسمي ، فهو أكبر من مرحلة الطفولة ، وأصغر من مرحلة الرّجولة !

وإذا فهم المربّون سواء في البيت أو المدرسة هذا الأمر وما يتعلق به ، فقدّروا ذلك ، وراعوا الأمر ، كان ذلك أمراً حسناً ، وإلا إذا تعاملوا مع عقل المراهق كما يتعاملون مع نمو جسمه كانت الآثار الوخيمة ، وفي ذلك يقول السيد محمد حسين فضل الله : (إن مرحلة المراهقة تماماً كما هي توازن

البحر ، فكأن الإنسان الذي يدخل في المرحلة الثانية من حركة الإنسان يستعدُّ لوجودٍ جديد ، وينطلق في تجربة إنسان آخر ، أو إيجاد قاعدةٍ لمرحلة أخرىٰ ، ولكنّ دور التربية هو أن تحمي الإنسان من الضياع .

ذلك لأن جنون الغريزة يعني استيقاظ حركة التمرّد في الإنسان ، والتطلّع نحو آفاقٍ غير واضحة ، قد تجعل الإنسان يفقد توازنه ، لأنه لم يختزن تجربة سابقة يستعين بها علىٰ إيجاد التوازن .

وعندما ندرس كل ذلك ، فإننا نعدُّ مسألة المراهقة حالةً طبيعيةً في الإنسان ، لأنها الحالة التي ينطلق فيها هذا المخلوق ، الذي تحرّكت فيه عملية النمو الجسدي ، بطريقةٍ هيّأت له في البداية إيحاءات غائمة ، ثم أدخلته في الجو الثائر المتمرّد ، الذي ينقله من حالة الاستسلام والخضوع للآخر ، إلىٰ حالة الشعور بوجوده واستقلاله ، ولكن من دون أن تكون هناك خطوط مستقيمة واضحة وهادئة تؤكد له ذلك)[1] .

لهذا فكل الشكاوىٰ التي تنطلق من الآباء والأمهات من

---

(١) باختصار وتصرّف من كتاب : دنيا الشباب : ٨٠ـ٨١ .

المراهقين ، تكمن في عدم تفهمهم لخطورة المرحلة التي يمرّ بها أولئك الشباب .

أما البيت الذي يمرّ فيه الشباب ضمن مرحلة المراهقة بسلام وأمان ، فهو البيت الذي يعامل المراهق من خلال وقائع التبدّل الذي يحدث له . . . ، وشتان بين بيتٍ وبيت ! !

* * *

الباب الثاني

ظواهر مرحلة المراهقة

الفصل الأول

النمو الجسمي..

بيّن الله تعالى التمايز بين مراحل الإنسان ، حيث لكل مرحلة خصائص تختلف عن غيرها ، قال الله تعالى : ﴿ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴾ [الروم : ٥٤] .

لكن ما يميّز مرحلة المراهقة عن غيرها ذلك النمو السريع ، والذي يشتمل على جميع أجهزة الجسم .

ويميز العلماء بين نوعين من النمو ، هما : النمو الفسيولوجي ، والنمو العضوي .

أ ـ النمو الفسيولوجي (نمو الأجهزة الداخلية) :

ويقصد به كل نمو داخلي يتم دون تدخل الإنسان ودون رقابته ، ومن الأمثلة علىٰ ذلك :

ـ نمو المعدة : حيث يتسع حجمها ، وتزداد قدرتها علىٰ الهضم ، مما يجعل المراهق أكثر رغبة في تناول الطعام .

ـ ونمو القلب : حيث يتسع حجمه ، وتنمو الشرايين الدموية ، لذلك يرتفع ضغط الدم ، ويصبح القلب أكثر قدرة علىٰ دفع الدم إلىٰ كل أنحاء الجسم ، مما يزيد في النشاط والحيوية .

ـ ونمو بعض الغدد :

فالغدة النخامية الصغيرة مسؤولة عن بقية غدد الجسم ، فهي التي تنظِّم النمو وتوزع الأملاح ، وتنظِّم توتر العروق الدموية وصباغ الجلد .

والغدة الدرقيّة : تزداد إفرازاتها في بداية مرحلة المراهقة ، وذلك لأن النضج الجنسي يزيد من شدة الإفراز ويعود بها إلى حالتها السويّة .

وأكثر ما يبدو النمو بشكل واضح في الغدد الجنسية ، وذلك لتهيئة الشاب لأخذ دور الرجل ، وكذلك الفتاة .

فالشاب المراهق تصبح خصيتاه قابلتين لإفراز الحيوانات المنوية ، بينما تصبح الفتاة المراهقة مهيأة لإفراز البويضات ، مما يسبب الطمث وما إلى هنالك .

أما الحكمة من تغيّر أجهزة الجسم الداخلية فهي كما قال الدكتور عبد العلي الجسماني :

.... تطرأ في فترة المراهقة تغيّرات سريعة في الوظائف الفسيولوجية ، ينشأ عنها خلل في عمل الغدد الصمّ وتوازنه فيحدث ما يسمىٰ (بالاضطراب المزاجي) ، ذلك لأن المزاج في الواقع إنما هو تأثير الوظائف الفسيولوجية على الحياة العقلية والجوانب الانفعالية ، يضاف إلىٰ هذا ، أن الاضطراب يمكن حصوله متىٰ كان النمو الجسمي أسرع من النمو العقلي ، أوحينما يكون النمو الجسمي غير طبيعي ، ففي كلتا الحالتين يكون الاضطراب قد هُيئت له الأسباب[1] .

ب ـ النمو العضوي (النمو الخارجي) :

يأخذ النمو العضوي كامل الاتجاهات ، فهو يشتمل على الوزن والطول ، واتساع الكتفين وطول الجذع وطول الساقين وما إلى هنالك .

وقد اختلف العلماء في تحديد مسألة انسجام النمو أو عدم انسجامه في أبعاد النمو ، فعلى سبيل المثال :

تقول الدكتورة سعدية بهادر : علىٰ الرغم من أن الجسم ينمو ليصبح أكبر في البلوغ ، فإن الأجزاء لا تنمو بنفس

(١) سيكولوجية الطفولة والمراهقة : ١٣٤ .

المعدل ، فعلىٰ سبيل المثال : تتغير ملامح الوجه ؛ لأن نمو الجزء السفلي من الوجه يتأخّر عن نمو الأجزاء العليا ، كما أن السيقان عادة ما تنمو أسرع نسبياً من الجذع[1] .

وفي دراسة للدكتور نوري الحافظ توصل من خلالها إلىٰ ما يلي :

. . . إن لسرعة التغيرات آثاراً سيئة بالنسبة لتصرّف الأولاد ، وبالنسبة لمواقفهم في كثير من الأمور ، فقد يزداد نمو القدمين والذراعين بسرعة مذهلة مما قد يظهرها بعيدة كل البعد عن التناسق بالنسبة لأعضاء الجسم الأخرى للولد ، وسيصبح حذاؤه والحالة هذه ضيقاً لا يتسع لضخامة قدميه إذ لا يصلح له ، وقد يبدو عليه الارتباك بسبب كبر حجم قدميه ، وستصبح البنت شديدة الحساسية بسبب كبر حجم يديها غير المألوف ، كما أن وجه المراهق الصغير قد يبدو بعيداً عن التناسق لازدياد نمو الفك الأعلىٰ من الوجه بالنسبة لنمو الفك السفلي[2] .

لكن هناك دراسات تؤكد علىٰ أن التغيرات التي تحدث

---

(١) في علم نفس النمو : ٣٤٦ .

(٢) المراهق : دراسة سيكولوجية شاملة : ٦٠ .

للمراهق تتذبذب إلىٰ الأمام وإلى الوراء ، ولا تثبت على خط مستقيم ، مما يؤدي إلىٰ الاضطراب والارتباك في سلوك المراهق!

من تلك الدراسات ما قام به الدكتور فؤاد البهي ، حيث توصّل إلىٰ مايلي :

. . . وتبدو آثار الجهاز الدموي في نمو القلب ونمو الشرايين ، ويبدأ مظهر هذا النمو في المراهقة بزيادة سريعة في سعة القلب ، تفوق في جوهرها سعة وحجم وقوة الشرايين (٥ : ٤) ثم تتطور في فجر المراهقة إلىٰ (٥ : ١) ويزداد بذلك ضغط الدم من (٨٠) ملليمتراً في سن (٦) سنوات إلى (١٢٠) ملليمتراً عند البنات في فجر المراهقة ، ثم تنقص عندهن حتى تصل إلى (١٠٥) ملليمتراً في سن (١٩) سنة .

ويرتفع الضغط عند البنين حتىٰ يصل إلى (١٢٠) ملليمتراً في فجر المراهقة ، ثم يصل إلى (١١٥) ملليمتراً في (٥ : ١٨) سنة قبل[١] .

ويرىٰ الدكتور حسين الغزي في ذلك رأياً أبعد ، فيقول : . . . يخضع النمو في هذه المرحلة للاتجاهات

---

(١) الأسس النفسية للنمو : ٢٧٣ .

الرئيسية التي تم ذكرها عند الحديث عن النمو بشكل عام ، أي إن الاتجاه الطولي والاتجاه المستعرض يبدوان بشكل واضح وجلي ، ولذلك تنمو الأجزاء العليا من الجسم قبل أن تنمو الأجزاء السفلىٰ ، فتزداد المساحة السطحية لجبهة المراهق وينحسر نبت الشعر إلىٰ الوراء ويغلظ الأنف ويتسّع المنخران ؛ حتىٰ تصبح ضخامتهما مصدر قلق لدى المراهقين والمراهقات خشية أن تشوه سحناتهم ، ويتسع الفم ، وتتصلب الأسنان وتغلظ ، وينمو الفك العلوي قبل الفك السفلي ، ويزداد بذلك تشوّه معالم الوجه ، وتنمو الأذرع قبل الطرفين السفليين ، وهكذا يستمر النمو في اتجاهاته حتى يصل إلى نسبته الصحيحة عند وصول المراهق إلىٰ مرحلة الرشد[1] .

أجل !

فالاضطراب في مظاهر النمو أمر عرضي ، ولو بدا أنه عشوائي ، ذلك لأنه الله سبحانه وتعالىٰ قرر أن الإنسان ـ في كل مراحله ـ صورة معتدلة متناسقة ، مصداق ذلك قوله تعالى : ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين : ٤] .

---

(١) علم نفس الطفولة والمراهقة : ٩٨ .

وقوله أيضاً : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴾ [الانفطار : ٦ـ٨] .

لذلك فعلينا الالتفات إلىٰ جانب التغذية ، حيث يجب توافر عدة شروط ليكون الغذاء كاملاً ، مثل النظافة من الجراثيم والملوثات ، وأن يكون حاوياً علىٰ جميع الفيتامينات اللازمة للنمو كالنشويات والبروتينات ، وأن يكون مناسباً للعمر ونحو ذلك .

لذلك جاءت الإشارات القرآنية إلىٰ بعض النعم التي يتغذىٰ عليها جسم الإنسان ، قال تعالى :

﴿ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٖ مَّعۡرُوشَٰتٖ وَغَيۡرَ مَعۡرُوشَٰتٖ وَٱلنَّخۡلَ وَٱلزَّرۡعَ مُخۡتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهٗا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٖۚ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦۖ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴾ [الأنعام : ١٤١] .

وقال عز وجل : ﴿ وَمَا ذَرَأَ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهُۥٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَذَّكَّرُونَ ۝١٣ وَهُوَ ٱلَّذِي سَخَّرَ ٱلۡبَحۡرَ لِتَأۡكُلُواْ مِنۡهُ لَحۡمٗا طَرِيّٗا وَتَسۡتَخۡرِجُواْ مِنۡهُ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَاۖ وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾ [النحل : ١٣ـ١٤] .

والشريعة الإسلامية تؤكد على مسألة الرزق الحلال ، قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ [البقرة : ١٦٨] .

وتحذّر من المحرم الخبيث ، قال تعالى : ﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الأنعام : ١٤٥] .

* * *

الفصل الثاني

النمو العقلي

هناك تعريفات كثيرة للعقل ، منها ما أورده الحارث المحاسبي رحمه الله تعالىٰ :

العقل غريزة جعلها الله عز وجل في الممتحنين من عباده ، أقام به علىٰ البالغين الحلم الحجة ، وأنه تعالىٰ خاطبهم من جهة عقولهم ، ووعد وتوعد ، وأمر ونهىٰ[1] .

وقال الإمام ابن تيمية رحمه الله تعالىٰ : إن اسم العقل عند المسلمين وجمهور العقلاء إنما هو صفة ، وهو الذي يسمىٰ عرضاً قائماً بالعقل ، وعلىٰ هذا دلّ القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة : ٧٣] وقوله : ﴿ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْآيَـٰتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [آل عمران : ١١٨] .

ونحو ذلك مما يدلّ علىٰ أن العقل مصدر عقل يعقل عقلاً ، وإذا كان كذلك فالعقل لا يسمىٰ به مجرد العلم الذي

---

(١) المسائل في أعمال القلوب والجوارح : ٢٣٩ .

لم يعمل به صاحبه ، ولا العمل بلا علم ، بل إنما يسمىٰ به العلم الذي يعمل به والعمل بالعلم .

. . . . ثم من الناس من يقول : العقل هو علوم ضرورية ، ومنهم من يقول : العقل هو العمل بموجب تلك العلوم .

والصحيح أن اسم العقل يتناول هذا وهذا ، وقد يراد بالعقل نفس الغريزة التي في الإنسان التي بها يعلم ويميز ويقصد المنافع دون المضار ، كما قال أحمد بن حنبل والحارث المحاسبي وغيرهما[(١)] .

وتؤكد الشريعة الإسلامية علىٰ فكرة مهمة ورائعة مفادها :

أن القوة العاقلة موجودة في جميع البشر ، لكن منهم من لم يستخدمها ، لذلك يسير وراء أهوائه وشيطانه ، ومنهم من يُحسن استخدامها ، فيميّز النافع من الضار ، ويسير في خط الله تعالىٰ ، مصداق ذلك قول الله تعالىٰ : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ [الأعراف : ١٧٩] .

وفي الوقت المعاصر قدّم بعض علماء النفس دراسات

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية : ٩/ ٢٨٦ .

حول مسألة النمو العقلي ، منها ما يبيّن الصلة بين النمو الجسمي والنمو العقلي عند المراهق ، مثال ذلك دراسة الدكتور عبد الحميد الهاشمي والذي توصّل فيها إلى ما يلي :

. . يعتمد التكوين العقلي ـ جسمياً ـ علىٰ الجهاز العصبي ودرجة نموّه ومرونته وقيامه بالنشاط الحيوي الفعّال ، ويستخدم الأطباء النفسيون المقياس الكهربائي الخاص لدراسة المخ وفحص تموجاته العصبية وأنواعها ، والاستدلال بذلك على قوة النشاط العصبي أو ضعفه ، مما يكون له أثر كبير في دراسة التكوين العقلي للإنسان ، وما قد يعتريه من أمراض عصبية أو انحلال ، ويشمل التكوين العقلي كل نشاط إدراكي يتجلىٰ في حياة المراهق ، فهو يتضمن المستويات العليا والوظائف العقلية في العمليات الارتباطية والذكاء كقدرة عامة ، ثم القدرات الخاصة .

. . . . وللنمو العقلي لدىٰ الإنسان مدارج أو مستويات متتابعة ينتقل معها الإنسان من وليد لا يعقل شيئاً ، إلى راشد بالغ يدرك ما حوله ويدرك نفسه وما يجري فيه ، ويستجيب للبيئة ، ويكفيها للحياة المتطورة وذلك بفضل العمليات العقلية العليا .

ونستطيع أن ندرك المستويات العقلية في تدرّجها من مستويات دنيا إلى وسطى فعليا في مراحل التكامل التكويني ، ثم باتجاه عكسي نازل في مراحل التهدّم والتناقض[1] .

أجل !

إنه خط بياني يبدأ من نقطة الصفر ، ويصعد رويداً رويداً حتى يكتمل ، ومن ثم يبدأ بالهبوط ، مصداق ذلك قوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [النحل : ٧٨] .

وقوله أيضاً : ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ ۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ ﴾ [النحل : ٧٠] .

ويتفرّع عن مسألة العقل عدة أمور منها :

ـ الذكاء :

يعرّفه العالم الألماني شترن بأنه القدرة علىٰ التصرّف السليم في المواقف الجديدة .

لذلك يكتسب المراهق بعض القدرات كالقدرة اللفظية ،

---

(١) علم النفس التكويني : أسسه وتطبيقاته : ٢١ .

وتعني : التعبير اللغوي عما يدور بخلده ، وما يجده من مشاعر وإحساسات ووجدانات .

والقدرة المكانية أي الهندسية ، والقدرة العددية وما إلىٰ هنالك .

ـ الإدراك :

وهـو نـوعـان : إدراك حسـي ، ويعنـي : إدراك الشـيء بوساطة البصر ، وإدراك معنوي ، ويعني إدراك الشيء بوساطة البصيرة .

وفي مرحلة المراهقة يتميز الإدراك المعنوي عن مرحلة الطفولة بأشياء كثيرة ، منها :

اتساع دائرته ، والتركيز الشديد علىٰ كثير من الأمور .

وفي ذلك يقول معروف زريق : . . . أما المراهق فبتأثير النمو العقلي الذي يبلغه ، وبتأثير الآفاق الجديدة التي اكتشفها وعرفها ، يستطيع أن يدرك الأمور المجردة المعنوية .

وتدل الدراسات العلمية علىٰ أن إدراك الطفل للحروب يدور حول الآثار المباشرة للغارات الجوية وما يراه فيها من تخريب مباشر ، بينما يتطور إدراك المراهق ليرىٰ في هذه

الغارات نذير خراب مقبل يهدد حياة الناس ما دامت الحرب قائمة .

وبمعنىٰ آخر ، فإن إدراك المراهق يتخذ آفاقاً واسعةً من الماضي والحاضر والمستقبل ، ويحاول أن يتعمق في إدراكه ليدرك الأسباب المباشرة والأسباب غير المباشرة والنتائج البعيدة ، بينما لا يتعدىٰ نطاق إدراك الطفل الزمن الحاضر الذي يعيشه[1] .

ـ التفكير :

وهو من اختصاص العقل ، حيث تكون البداية في مرحلة الطفولة ، ثم تستمر في النمو والاكتشاف والبحث ، وذلك في مرحلة المراهقة .

وكذلك فإن العلماء يؤكدون علىٰ أن فترة المراهقة هي فترة اليقظة الدينية ، حيث ينطلق المراهق من الشك ليصل إلىٰ اليقين .

وهذا ما يشير إليه القرآن الكريم ، كما في قوله تعالىٰ :
﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ

---

(١) خفايا المراهقة : ٥٥ .

مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا . . . ﴾

[الحج : ٥] .

إذاً : ما يتميّز به الإنسان عن غيره هو العقل ، فإن استخدمه في الخير سعد وفاز ، وإن عطّل قوىٰ الإدراك فيه فقد تساوىٰ مع اللاعقلاء : ﴿ . . أُوْلَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ [الأعراف : ١٧٩] .

* * *

الفصل الثالث

النمو الاجتماعي

في فترة المراهقة يميل المراهق إلىٰ الرغبة في تأكيد ذاته ، فهو يرفض تماماً أن يُنظر إليه كما يُنظر إلى الطفل ، ولكي يتحقق ذلك يقوم ببعض الأعمال التي تلفت نظر الآخرين ، كأن يتصنّع بطريقة ضحكه وكلامه ومشيته ، أو يناقش ويجادل في أمور لا خبرة له بها .

ويبرز أمر آخر في حياة المراهق ، وهي مسألة التمرّد والاحتجاج والغضب ابتداءً من التمرد علىٰ السلطة التي يتمتع بها والداه ، ثم علىٰ سلطة المدرسين وهكذا .

وواجب أفراد الأسرة ، ومن ثم الجماعة أن يرعوا المراهق ويحموه من نفسه والآخرين ، وإلا تحوّل إلى طاقة مدمرة ، مصداق ذلك قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ [التحريم : ٦] .

والأهم من ذلك كله انتقاء أصدقاء له . . . ، وذلك لأن ولاء المراهق لأقرانه أشد بكثير من ولائه لأهله ومدرسته ، وعلى حدّ تعبير الدكتور مصطفى فهمي : . . . والسبب الذي يدعو المراهق إلىٰ الانسجام في الجماعة التي ينتمي إليها في أول مرحلة المراهقة ، محاولته تجنّب كل ما يؤدي إلىٰ إثارة النزاع بينه وبين أفراد هذه الجماعة ، وهو إذ يفعل ذلك يرىٰ أن أي نزاع بينه وبينهم يعتبر في منزلة ثانوية بالنسبة للنزاع الأكبر الذي يقوم بينه وبين السلطة المدرسية والوالدية ، ومن ثم يكون في احترامه لرأي (شلّته) وإخلاصه لهم وخضوعه لأفكارهم نوع من تخفيف الشعور بالإثم الناجم عن عدم طاعته لوالديه ومدرّسيه[1] .

لذلك اعتبر العلماء والباحثون أن أهم العوامل المؤثرة في النمو الاجتماعي في المراهقة هي :

أ ـ **الأسرة** : حيث يتلقىٰ المراهق حنان الأم وعطف الأب وحب الإخوة والأخوات ، وبالتالي يجتمع الجميع لحلّ المشكلات والأزمات بعيداً عن الأحقاد والعلاقات الاجتماعية الصورية !

---

(١) سيكولوجية الطفولة والمراهقة : ٢٣٦ .

ب ـ **المعلم** : حيث عليه أن يقوم بدوره كمرشد إلى الفضائل والمحامد .

ج ـ **القدوة والأسوة الحسنة** : وذلك من خلال مطالعة سير العظماء والمصلحين ، قال تعالىٰ :

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٢١] .

د ـ **العبادات المفروضة** : حيث إن لها الأثر الكبير في تنظيم السلوك والفكر والعمل الخيّر ، وإلا كم من مصلّ ليس له من صلاته إلا الركوع والسجود ؟!

وكم من صائم ما نال من صيامه إلا الجوع والعطش ؟!

وكم من حاج ليس له من حجه إلا النّصب والشقاء والتعب ؟!

لكن من الواضح ظهور بعض مظاهر النمو الاجتماعي : كالصدق وصلة الرحم والتعاون علىٰ البر والتقوىٰ ، واختيار الأصدقاء ، والميل إلىٰ الزعامات ، والرغبة في الإصلاح ، وما إلى هنالك .

لذلك يجب الانتباه إلىٰ القضية المركزية ، وهي تنشئة

المراهقين علىٰ الأخلاق الفاضلة وحب الخير ، ومشاركة الآخرين أفراحهم وأحزانهم ، ويجب الابتعاد عن العنف ، وإلا آل الأمر إلىٰ تقوقع المراهق وانعزاله أو انكفائه علىٰ حب ذاته .

* * *

الفصل الرابع

النمو الانفعالي

في مرحلة الطفولة تكون الانفعالات بسيطة ، ثم تتطور تلك الانفعالات وتتعقد في مرحلة المراهقة .

لذلك يثور المراهق وينفعل لأبسط الأسباب ، وكثيراً ما يعجز عن التحكّم في مظاهره الخارجية ، فتراه يصرخ أو يصيح أو يبكي . . !!

ومن مظاهر انفعالاته :

ـ **انفعال العُجب** : حيث يعطي ذاته اهتماماً كبيراً ، وبالتالي فهو معجب بجميع جوانب شخصيته : كميوله ومكانته الاجتماعية وطاقاته النفسية وقدراته العقلية وما إلى هنالك .

وإذا تُرِك المراهق لهذا الانفعال كانت الآثار وخيمة ، عليه وعلى من حوله ، ولا يضبط ذلكم إلا التربية الإسلامية .

ـ **وانفعال الغرور** : ومعناه شدة إعجاب المراهق

بشخصيته ، والهدف من ذلك جذب الأنظار ، والاعتراف بتميّزه على أقرانه على أساس أنه أصبح كالكبار .

وقد يكون الغرور ناتجاً عن جمال أو صحة أو قوة أو مال أو مركز اجتماعي ونحو ذلك .

والذي يكبح ذلك كله تعاليم الشريعة العصماء ، مصداق ذلك قوله تعالى في حكاية لقمان وابنه : ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ ﴿١٨﴾ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ﴾ [لقمان : ١٧ـ١٩] .

ـ وهناك انفعال الكبر ، وانفعال السفه ، وانفعال الفتوة ، وانفعال الخوف ، وانفعال الرجاء .

إذاً: أهم خصائص النمو الانفعالي في مرحلة المراهقة هي:

أ ـ **الحساسية الشديدة** : بحيث يصبح المراهق مرهف الحس رقيق الشعور سريع التأثّر .

لذلك يجب الابتعاد عن التجريح والنقد اللاذع ، واستبدال ذلك بالرفق واللين .

ب ـ **مظاهر الكآبة واليأس** : وذلك نتيجة انفعالات حادة

متضاربة، ولا حلّ إلا بالتربية الإسلامية، حيث الحنان والعطف، والحب والشفقة ، ومراعاة ذلك التطور في جسم المراهق.

ج ـ **العنف** : حيث يريد المراهق أن يُثبت رأيه أو يُبرز شخصيته ، فيلجأ إلى العنف الخارجي ، أو العنف الداخلي .

والحلّ هو أن يستوعب الأهل والأصدقاء عنف المراهق ، ويوجهوه التوجيه السليم ، ويشغلوه بقضايا أخرى تبعده عن ذلك كله .

د ـ **التمرد والعصيان** : وذلك نتيجة قناعاته أن من حوله لا يفهمونه ، مما يدفعه إلى الفرار من المنزل أو الانطواء على نفسه .

هـ ـ **الانطلاق** : وبتعبير آخر التهوّر والطيش ، والسبب يعود إلى الحيوية والحركة والنشاط ، مع عدم نضوج العقل وقلّة الخبرة والتجربة .

والحلّ أولاً وأخيراً لا يكمن في التقريع والنقد الجارح ، ولا في التخويف ، وإنما في دراسة أوضاع كل مراهق على حدة ، والإنصات إليه ، وتوجيهه إلى كل ما فيه الخير والنفع له وللآخرين ، وإشعاره بالمحبّة .

* * *

الباب الثالث

حاجات المراهق ومشكلاته

الفصل الأول

أهم حاجات المراهق

من طبيعة الإنسان وجود حاجاتٍ ومطالب لا بدّ من الحصول عليها ، فكما أن هناك حاجة للطعام ، وللشراب ، ونحو ذلك .

كذلك فللمراهق حاجات لا بدّ من توافرها ، وذلك بهدف السير في الطريق القويم ، وإلا جنح المراهق نحو السُّبل الملتوية ، وتاه في دياجير الظلام ، وكانت النتيجة استمرار الانحراف إلى أن يأتيه الموت ! !

ويمكن تقسيم حاجات المراهق إلى ثلاثة أنواع هي[1] :

١ ـ حاجات نفسية :

كحاجته إلىٰ العبادة : حيث يلجأ الإنسان إلى خالقه ليحلّ أزمته ويفك شدّته ، مصداق ذلك قوله تعالى : ﴿قُلْ مَن

(١) للتوسع يراجع كتاب : المراهقون للدكتور عبد العزيز النغيمشي : ٣٧ ـ ٥٩ .

﴿يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام : ٦٣ـ٦٤] .

وقد سبق القول في الفصول الماضية أن لدى المراهق شعوراً عارماً نحو معرفة القضايا الكونية ، لذلك تراه يطرح عدة تساؤلات عن الخلق والنفس والكون و . . . ، إضافةً إلى شفافية ورقة شعوره ، لذلك تراه كثير الخوف من الله ، كثير التذكر والتفكر والدعاء ، كثير الاستغفار وتلاوة القرآن ، لذلك يجب الانتباه إلى هذه الناحية المهمة ، ويجب التركيز على مخاطبة المراهقين بأسلوب مبسط وعلمي وموثّق ، وبما يتناسب مع أحلامهم وتطلّعاتهم ، بعيداً عن الحشويات والمطوّلات والتعقيدات .

وهناك أيضاً حاجة المراهق إلى الاستقرار والأمن ، خاصة وأنه يمرّ بفترة انتقالية من حيث النمو بأنواعه ، وقلة الخبرة ، والتخوّف من التبعات المستقبلية ، والتخوّف من المواقف الاجتماعية ، والتخوّف من الحالات العاطفية ونحو ذلك .

ومهمة الآباء والأمهات والمربّين الانتباه إلىٰ هذه النقطة المهمة ، ومراعاة الفترة الحرجة التي يمرّ بها المراهق ، وإلا ! !

ومن جهة أخرى هناك حاجة لفهم الآخرين للمراهق ، لذلك لا يجوز لأحد أن يسخر من المراهق ، أو يعنّفه ، أو يجرح شعوره ، أو يحاول إسقاط مواقعه الاجتماعية ، وما إلى هنالك .

٢ـ حاجات اجتماعية :

ـ كالحاجة إلى الأصدقاء ، وذلك لأن الإنسان كائن اجتماعي ، مصداق ذلك قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [الحجرات : ١٣] .

لذلك يجب على المربّين والأهل إرشاد المراهق لاختيار أحسن الأصدقاء ، مصداق ذلك قول الرسول ﷺ : « إنما مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير ، فحامل المسك إما أن يُحذيك ، وإما أن تبتاع منه ، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة ، ونافخ الكيرِ إما أن يحرق ثيابك ، وإما أن تجد منه ريحاً منتنة »[١] .

ـ وكالحاجة إلى الزواج ، وذلك ليخرج من أزمته

---

(١) حديث متفق عليه .

النفسية ، ويشعر بالتكامل ، ويعيش الاستقرار والطمأنينة بعيداً عن الأزمات العاطفية ومشاكل الغريزة ، قال تعالى :

﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

[الروم : ٢١]

وروى البخاري ومسلم قول النبي ﷺ : « يا معشر الشباب ، من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم ، فإنه له وجاء » .

- وكالحاجة إلى العمل والمسؤولية ، وذلك من خلال اتخاذ أساليب المشاركة في اتخاذ القرارات ، أو المشاورة في المناسبات ، أو الحوار والمناقشة .

وخاصة بالمشاركة الأسرية أو الاجتماعية ، والهدف أولاً وأخيراً تعويد المراهق على العمل وتحمل المسؤوليات .

٣ـ الحاجات الثقافية :

- كالحاجة إلى الاستطلاع والاكتشاف ، لذلك ترى المراهق يطرح تساؤلات كثيرة ، ويريد الجواب الواضح المقنع ، وإلا مارس الجدال والمناقشة .

لذلك على الأهل تزويد البيت بمكتبة شاملة ، وذلك بهدف اهتمام المراهق بحب الاستطلاع والاكتشاف ، والوصول إلى المعلومات المفيدة ، وفي هذه الأيام يجب الاهتمام ببعض الأمور العلمية كالكمبيوتر والإنترنت ونحو ذلك .

ـ وكالحاجة إلى الهوية ، وذلك بهدف تمييزه عن غيره ، وإبعاده عن التقليد الأعمى ، مصداق ذلك قوله تعالى : ﴿ بَلْ قَالُوٓا۟ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ۞ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴾ [الزخرف : ٢٢ـ٢٤] .

* * *

الفصل الثاني

انعكاسات المراهَقة

للمراهقة انعكاسات عديدة ، منها ما هو شديد ، ومنها ما هو خفيف ، وهي تختلف من مراهق لآخر ، ويمكن حصرها بما يلي :

١ ـ الخجل والحياء :

يتميز المراهقون الذكور بالخجل ، بينما تتميز المراهقات الإناث بالحياء .

أما الخجل : فهو حالة انفعالية تجعل المراهق دائم الخوف والارتباك ، وعادة ما يُعزى سبب الخجل إلى التربية الخاطئة في الطفولة .

وأما أعراضه فكثيرة منها : احمرار الوجه ، والتأتأة بالكلام ، وخفقان القلب ، والتعثّر بالمشي ، والذعر ، والضيق ، والرغبة في الانزواء ، والتردد ، وما إلى هنالك .

وفي مرحلة المراهقة تتوسع دائرة الخجل ، حيث يعيش المراهق إحباطات عاطفية ونفسية واجتماعية كثيرة ، ويعاني من الرموز السلطوية ، كالأستاذ ، ورجل الشرطة ، ورب العمل .

والحلّ يكمن في العلاج السلوكي ، كتدعيم الثقة بالنفس ، وإطلاق العفوية ، وعدم السماح للمراهق بالانزواء ، مع دراسة أهم أساليب معالجة الخجل عند كل مراهق على حدة .

وأما الحياء فهو شعور نبيل ، وسلوك مستحب ، ويتجلى عادة أمام الآخرين ، وخاصة الذكور منهم .

لكن لا يُنصح أبداً بالمبالغة في التركيز على الحياء ؛ لأن ذلك يؤدي إلى خنق عفوية الأنثى ، وسحق شخصيتها .

٢ـ الجنوح والعنف :

هناك أشكال عديدة للجنوح ، مثل : الكذب والسرقة ، والتزييف والتخريب ، والتدخين والبطالة ، والتمرّد والهروب من المدرسة ، وما إلى هنالك .

وأهم أسباب الجنوح : المعاملة القاسية في البيت ، أو

الإفراط في الرعاية والدلال ، وكذلك تفكك الأسرة ، والحروب ، والفقر والعوز ، ومشكلات الفراغ .

كل هذا يؤدي إلى سلب الذات ، وضعف الضمير الأخلاقي ، والاندفاع المتهوّر ، وعدم التبصّر في معالجة الأمور ، وما إلى هنالك .

والحلّ الناجع يكمن في الوقاية والتربية الهادفة ، ثم في اتباع سبل الوعظ والإرشاد ، وتوفير الرعاية الاجتماعية ، والتركيز على مكافحة المخدرات بكل أنواعها ، ومحاربة القمار ، ومكافحة الجماعات المنحرفة .

وأما العنف والعدوان عند المراهقين ، فإنه يتّخذ عدة أشكال : كالعنف ضد الذات ، أي الانتحار أو الفشل الدراسي أو المهني أو الانزواء والتشدد على الذات .

وكالعنف ضد الآخر (الإجرام والإرهاب) مثل : التمرد والعصيان ، وتبنّي الاتجاهات السياسية المتطرفة ، والصراخ والضرب والتخريب . . . ! !

والحل يكمن في (الوقاية خير من العلاج) ، ثم الرعاية والعناية بكل أوضاع المراهقين ، ودراسة كل حالة على حدة .

٣ـ إدمان الصراع مع الأهل ! !

كما هو معلوم فلكل جيل مفاهيم وتصرّفات ومواقف ، حتى الأذواق تختلف من جيل لآخر ، بل وحتى طرق التفكير تختلف .

لذلك كله تنشأ الصراعات بين الآباء والأمهات من جانب وبين الأولاد من جانب آخر ! لكن لماذا ذلك كله ؟

فجأة كبر الأولاد ، وأصبحت لديهم رغبة عارمة في عدم التبعية لمن هو أكبر منهم ، والأهل بحاجة إلى الهدوء والاستقرار ، ولذلك يبحثون عن منافذ للخروج من المشاكل والهموم ، بينما الأولاد بحاجة إلى من يُصغي إلى مشاكلهم وتطلّعاتهم .

أجل !

لقد كبر الأولاد ، وأصبح الشاب ينافس والده ، والفتاة تنافس والدتها ، وتزداد المشاكل يوماً بعد يوم .

حتى اختيار مستقبل الأولاد ، بين التعليم والمهني يصبح مشكلة ومحل خلاف ! وحتى اختيار الحاجات والأذواق الرفاق وأماكن التسلية وما إلى هنالك يصبح محل جدل ونقاش .

لكن هل الحل في استخدام السلطة الأبوية ، وحرمان المراهق حقوقه ومتطلباته ؟

أم هل يكمن الحل في سحق شخصيته وعدم الاستماع إلى آرائه ؟

أبداً ، فلا بدّ من احترام أحاسيسه وآرائه ، ولا بدّ من التركيز على إيجابياته ، ولا بد من إشاعة الثقة بين الأهل والأولاد ، وإلا . . . !!

٤ـ العادة السّرية :

حيث يفرّغ المراهق ـ ذكراً كان أم أنثىٰ ـ الرغبات الجنسية وقوة نشاطاتها عن طريق الاستمناء .

ولا بديل إلا بإمكانية ممارسة العمل الجنسي الطبيعي ، أي عن طريق الزواج .

وللأسف فقد تشدّد بعضهم في هذه المسألة ، وبنوا على ذلك التشدّد أحكاماً وأضراراً و . . . . ، وكل ذلك لم يثبت في سنة صريحة صحيحة ، ولم يقرّه الطب الحديث .

وبالمقابل تساهل بعضهم وادعوا أنه أمر طبيعي لا بأس به . . . !!

والحلّ في الاعتدال والوسطية ، بحيث لا بدّ من إشاعة الأجواء الهادئة ، بعيداً عن كل ما يثير المراهقين والمراهقات ، مع توفير كل ما يوصل إلىٰ الطرق الشرعية الحلال ، واتباع خطوات التدرّج ، مع التذكير بالمنهج القويم : ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران : ١٣٥] .

* * *

الفصل الثالث

مشكلات المراهق

أثناء دراسة مشكلات المراهقين لا بدّ من تحديد المشكلة أولاً ، وذلك بهدف الاطلاع على أهم أسبابها ، ثم معرفة خصائص الطبيعة البشرية ، حيث التكوين المزدوج ـ روح وجسد ـ ثم لا بدّ من التركيز على إيجابيات المراهق ، وذلك بهدف مشاركته ـ هو ـ في حلّ المشاكل التي تعترضه .

مع التأكيد على فكرة التعاون بين جميع الجهات المسؤولة ، وذلك ابتداءً من الأهل ، مروراً بالأصدقاء والأقارب ، ثم المؤسسات المختصة بذلك .

ويمكن حصر المشكلات التي يتعرض لها المراهقون بما يلي :

١ ـ المشكلات الجسمية :

حيث تؤثّر في نمو المراهق ، وتتركز في بعض القضايا ، وأهمها :

ـ **فقد الشهية** : حيث تؤدي إلى انخفاض وزن المراهق وضعف جسمه ، وبالتالي تؤثر على صحته العامة ، وعلى حالته النفسية .

وغالباً ما يكون السبب الرئيسي وراء فقد الشهية هو كثرة تعرّض المراهق للمواقف المحرجة ، والتي تثير قلقه واضطرابه .

ويكمن الحل في تنوّع أطعمة المراهقين ، مع تنظيم أوقات الفراغ ، في الألعاب الرياضية وما إلى ذلك .

ـ **النحافة** : أي قلّة وزن الشخص عن المعدل الطبيعي ، ويرجع السبب الرئيسي للنحافة إلى فقد الشهية ، وعدم الإقبال على الطعام ، وسوء التغذية ونحو ذلك .

ـ **البدانة** : وسببها استهلاك المراهق لكمية من الغذاء أكبر مما يحتاجه الجسم ، مما يؤدي إلى تخزين الجسم كمية كبيرة من الشحوم ، تتوزع على الجسم تحت الجلد .

وقد يكون للبدانة بعض العوامل : كالوراثة وقلة الحركة والنظام الغذائي والخلل في إفرازات الغدد الصمّاء .

وبالفعل فإن السمنة تعتبر مشكلة بالنسبة للمراهق ، فقد تؤدي به إلى العزلة والانطواء على نفسه .

ويكمن الحل باتباع نصائح طبيّة معينة ، كاتّباع نظام غذائي يركز على الخضراوات ، مع ممارسة بعض التمارين الرياضية .

٢ـ المشكلات النفسية والاجتماعية :

هناك بعض الحاجات التي يتطلبها المراهق ، مثل الحاجة إلى الإشباع الجنسي ، والحاجة إلى الحب والقبول ، والحاجة إلى النمو العقلي ، والحاجة إلى مكانة الذات ، بل وإلى تحقيق وتوكيد الذات (الاستقلال التام) ، والحاجة إلى المساواة مع رفاق السن في المظهر والمصروف والحاجة إلى القيم .

وأما العوامل المؤثرة في سلوك المراهق ، فهي : الأسرة ، والمدرسة ، والرفاق ، والجمهور ، ووسائل الإعلام ، وما إلى هنالك .

وأهم المشكلات النفسية والاجتماعية لدى المراهقين ، هي :

ـ الكذب ، ولا حلّ لهذه المشكلة إلا بالتربية والنصح والإرشاد .

ـ التمرّد على الأسرة ، والحل يكمن في تقديم أمور التربية بالنصيحة والأسوة والقدوة الحسنة .

ـ المشكلات الجنسية ، وخاصة اللواطة والاستمناء ، ومعاكسة الجنس الآخر ، ويكمن الحلّ أيضاً بالتربية ، وفتح منافذ الحلال وإغلاق كل ما يوصل إلى الحرام ، مع تبنّي شعارات الحكمة والجدال بالتي هي أحسن ، وترتيب الأولويات ، والربط بين الأساليب والنتائج ، والموعظة الحسنة[1] .

٣ـ المشكلات العقلية :

في مرحلة المراهقة يبدأ المراهق في إعادة النظر في كل المعلومات التي اكتسبها ، مما يخلق عنده حاجة إلى الكشف عن تفسير الحقائق ، وخاصة الحقائق الكبرى ، وليس في ذلك ضيرٌ أبداً ، إنما دلنا القرآن على بعض التفسيرات ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ

---

(١) للتوسع يراجع كتاب : (ادفع بالتي هي أحسن) ، للمؤلف : ٥٩ـ٧٧ .

مُضۡغَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡمُضۡغَةَ عِظَٰمٗا فَكَسَوۡنَا ٱلۡعِظَٰمَ لَحۡمٗا ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ تُبۡعَثُونَ﴾ [المؤمنون : ١٢ـ١٦] .

إضافة إلى توسيع قاعدة الفكر والسلوك عنده ، مع إضافة حاجات أخرى ونجاحات أكثر .

وأهم المشكلات العقلية التي تعترض المراهقين هي :

ـ **القلق** : حيث يزداد طرداً مع قلة الإيمان ، ذلك لأن المؤمن يعيش حالة الطمأنينة مع الله : ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿٢٢﴾ لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ﴾ [الحديد : ٢٢ـ٢٣] .

ـ **أحلام اليقظة** : وتعني الاستسلام المطلق للخيال ، حتى يبني المراهق قصوراً في الهواء ! !

والحلّ بتزكية روح الإيمان ، والنزول إلى أرض الواقع ، والعمل الدؤوب للوصول إلى الهدف .

ـ **المستقبل** : حيث يعيش المراهق هاجس الخوف من العمل الوظيفي الذي سيجابهه ، ويضع احتمالات كثيرة ، أما

المراهق المسلم فإنه واثق مطمئن بكل ما يأتي من الله ، حيث الرزق مقسوم ، والعمر محتوم .

- **التأخّر الدراسي** : وذلك نتيجة عدم تركيز الانتباه ، والخوف من الامتحانات ، وبعض الأسباب العائلية والمدرسية ، وما إلى هنالك .

والحلول الناجحة لمجابهة تلك المشاكل تنحصر في دراسة كل مشكلة على حدة ، واتخاذ أساليب علمية لا تتعارض مع أصول الشريعة ، بل تتماشى مع روح العبادات وجوهر الشريعة كالتربية الإسلامية القرآنية ، وصدق الله إذ يقول :

﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ [الإسراء : ٨٢] .

* * *

الباب الرابع

شخصية المراهق

الفصل الأول

أهم العوامل المؤثّرة في تكوين شخصية المراهق

هناك عدة عوامل مؤثرة في تكوين شخصية المراهق ، وقد أوجزها الباحث سمير الراضي بما يلي :

١ ـ التفاعل بين الإنسان والبيئة :

فهناك الفطرة ، وهناك التعلّم ، حيث يتلقىٰ المولود أموراً كثيرة عن طريق الفطرة ، ثم وبالتدريج يتعلّم أموراً كثيرة أيضاً .

ويقسّم العلماء التعلم إلىٰ :

أ ـ تعلّم فعّال : وهو الذي يؤدي إلى تغيير في سلوك الإنسان .

ب ـ وتعلّم غير فعّال : وهو الذي لا يؤدي إلى تغيير في سلوك الإنسان .

إضافة إلى ذلك فهناك عوامل تأكيدية ، تؤدي إلى ردود أفعال مناسبة ، كالثواب والجزاء .

٢ـ السمات النفسية للمراهق :

وهي كثيرة ، لكن أهمها :

القلق أو الحصر النفسي ، والكبت ، والإنكار ، والاستبدال أو الإحلال ، والتعليل المنطقي (عقلنة التصرّف) ، والتصرّف العكسي ، والانطواء أو الانسحاب ، والتزمّت والتنطّع ، والتبنّي السلوكي (التقمّص) ، ومعرفة الذات (الماهية) .

٣ـ النمو الجسمي في مرحلة المراهقة :

وهي الأمور التي تؤدي إلى دخول الإنسان في مرحلة جديدة من مراحل تطور النمو ، وأهم هذه الأشياء هي :

الإفرازات الناتجة عن الغدد الصماء والتي لها علاقة وطيدة بالتغيرات الجنسية ، وكذلك التغيرات المؤدية للبلوغ كالغدة النخامية والغدة الدرقية والكظرية ، والتغيرات الحاصلة في أبعاد الجسم كاختلاف التطور العضلي والدهني ، وكذلك التغيرات في القوة والقدرة على احتمال التمارين الرياضية ، وهكذا بالنسبة لنمو الدماغ والمخ والقلب والرئتين والنضج الجنسي .

ثم هناك سمات نفسية ناتجة عن النمو والتطور ، كالسمات الناتجة عن الطمث والاحتلام وما إلى هنالك .

مثال ذلك : دلّت الكثير من البحوث التي أُجريت على تأثير الدورة الشهرية على نفسية وشخصية الفتاة ، أن العادة الشهرية تؤثر على تقلّب الحالة النفسية للفتاة ، وربما يعود ذلك لتغيّر نسب الهرمونات الأنثوية المختلفة ، مثل الأستروجين والبرجستون في المراحل المختلفة للدورة ، حيث تبين أن الفترة التي تمرّ بها الفتاة قبل الطمث (أي من ٢١ يوماً إلى ٢٤ يوماً من أيام العادة الشهرية) من أكثر الأوقات تعرّضاً لمشاعر الاضطراب النفسي والتوتر وانخفاض الشعور باحترام الذات .

وعلى العكس خلال زيادة الأستروجين (ويكون ذلك عند خروج البويضة في منتصف الدورة الشهرية تقريباً) ، حيث تنخفض الانفعالات السلبية ويزداد الشعور باحترام الذات .

وخلال الطمث وقبله تكون الفتاة معرّضة أكثر لانعدام التوازن (عدم القدرة على التحكم في العضلات) وكثرة الغياب عن العمل أو المدرسة ، وكثرة مراجعة الطبيب ، وغالباً ما يكون السبب نفسياً أكثر منه عضوياً .

كما أن الشعور بالتوتر المشوب بالخجل وسرعة الإثارة والإحراج تزداد في هذه الفترة .

إضافة إلى ذلك تأثير الجنس على السلوك العدواني ، وتأثير الذكاء والتطور الذهني ، ومدى تأثير الوراثة والقدرات العقلية ، ونحو ذلك[1] .

* * *

(١) للتوسع يراجع كتاب : المراهقون : ٤٢ـ٥٧ .

الفصل الثاني

تربية العوامل المحدّدة لشخصية المراهق

لدى دراسة شخصية الإنسان ، يتبيّن أن هناك عوامل محددة تؤثّر تأثيراً كبيراً في تحديد شخصيته ، وقسّمت إلى قسمين رئيسين :

١ـ عوامل وراثية . ٢ـ عوامل بيئية .

وكالعادة ، فقد اهتم بعض العلماء بقسم واحد منها ، وكان ذلك على حساب القسم الثاني ، أما الشريعة الإسلامية فتهتم بكل النواحي ، وتعتبر أن كل ناحية تكمل النواحي الأخرى ، لذا كان التركيز على جسم الإنسان وعقله ، وعواطفه واتجاهاته ، وانفعالاته وعواطفه ، وعاداته وما إلىٰ هنالك .

ووضع العلماء منهجاً متكاملاً يهدف إلى تربية ذلك كله ، مثال ذلك[1] :

---

(١) للتوسع في هذا الفصل يراجع كتاب : تربية المراهق بين الإسلام وعلم النفس : ٢١٧ـ٢٥٩ .

أ ـ تربية الدوافع :

في تعريف الدكتور نبيل السمالوطي للدوافع يقول : حالة داخلية ، جسمية نفسية ، فطرية أو مكتسبة ، تشير إلىٰ السلوك وتحدد نوعيته واتجاهه ، وتسير به نحو تحقيق أهداف معينة ، من شأنها إرضاء جانب معين من جوانب الحياة الإنسانية[1] .

وتأتي أهمية الدوافع من خلال أنها تعمل على استمرار الوظائف الفسيولوجية الضرورية لحفظ حياة الإنسان ، وتمدّه بالطاقة اللازمة .

ففي حالة اشتداد الجوع ، نجد المعدة في حركة دائمة وتحدث تقلّصات واضطرابات لتنبّه الفرد وتدفعه نحو عملية الإشباع ، ليقوم بسدّ حاجة البدن وتعويضه عن المقدار الناقص من الغذاء .

وإذا كان الدافع المراد إشباعه العطش ، فإن الفرد يشعر بجفاف في الحلق ، يدفعه إلى تعويض البدن عمّا فقده من الماء ليعود إلى حالته الطبيعية المفطور عليها ، وعملية إحداث الاتزان الداخلي تتم بصورة تكاد تكون آلية ، ولا دخل للشعور أو الإدراك الإنساني في توجيهها أو تحريكها .

---

(١) الإسلام وقضايا علم النفس الحديث : ٩٠ .

ويقسم العلماء الدوافع إلى قسمين :

أ ـ **دوافع فطرية :**

وهي استعدادات طبيعية يولد الفرد مزوّداً بها ، مثال ذلك :

ـ **دافع الجوع** : يعتبر هذا الدافع من أهم الدوافع البيولوجية الضرورية لحياة الإنسان ، لذلك فقد خضع هذا الدافع لكمّ من الدراسات العلمية ، ومن البحوث التي أُجريت لتبيان أثر افتقار الجسم إلى الطعام ، بحيث أجري على مجموعة من الشبان الأصحّاء ، فقد غُذّي أفراد هذه المجموعة تغذية جيدة لمدة ثلاثة اشهر ، أعقبها فترة ستة أشهر من الصوم اعتمدوا فيها على أقل القليل من الطعام الذي لا يكاد يسدّ رمقهم ، وقد وصفوا حالاتهم أثناء فترة الستة أشهر من الصوم ، بعدم القدرة على ضبط النفس وكبح جماح الغضب والتردد والقلق والحساسية الزائدة وعدم القدرة على تركيز الانتباه .

ويتضح من ذلك أثر افتقار الدم إلى المواد الغذائية في دافع الجوع ، ومن ثم يضعف الجسم ولا يستطيع القيام بوظائفه الحيوية المعتادة[1] .

---

(١) للتوسع يراجع كتاب : قراءات في علم النفس ، الدكتور محمد منسي : ١٣٩ .

ـ دافع العطش .

ـ دافع الراحة : قال تعالى : ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [القصص : ٧١ـ ٧٣] .

ـ اتقاء الحرارة والبرودة : قال تعالى :

﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ۙ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾ [النحل : ٨٠ـ ٨١] .

ـ اتقاء الألم : سواء كان ألماً بدنياً أو نفسياً ، قال الله تعالى :

﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟

﴿عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِي الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأنعام : ٣٣] .

ـ **الدافع الجنسي** : وهذا الدافع له تأثيرٌ كبيرٌ في مسألة بقاء النوع ، قال الدكتور محمد نجاتي : وهناك كثير من الأدلة أيضاً على أن للهرمونات الجنسية تأثيراً هاماً في الدافع الجنسي عند الإنسان ، فإذا استؤصل المبيضان عند طفلة صغيرة فإن نشاطها الجنسي لا يظهر فيما بعد ، وكذلك إذا أُخصي طفل صغير تعطّل ظهور نشاطه الجنسي فيما بعد ، ولكن إذا أُخصي الرجل بعد البلوغ فقد تضعف رغبته الجنسية ، ولكن الشعور بالدافع الجنسي والقدرة على الاتصال الجنسي قد يستمران بعد ذلك مدة طويلة[١] .

والشريعة الإسلامية تحصر مسألة الجنس وممارسته في الزواج ، وتعتبر الزواج ميثاقاً وعهداً عظيماً ، قال تعالى : ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾ [النساء : ٢١] .

وهذا أمر فطري ، كما جاء في حكاية زكريا عليه السلام : ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ

---

(١) علم النفس في حياتنا اليومية : ٨٣ .

ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء : ٨٩-٩٠] .

- **دافع الأمومة** : وهو دافع فطري يجعل الأم تقوم بمسؤوليات كبيرة تجاه أولادها ، ويجعلها كذلك تتحمل مشاق الحمل والوضع والإرضاع والنظافة والتربية والسهر ! !

ب - الدوافع المكتسبة :

وتشتمل على الدوافع النفسية والاجتماعية والعقلية ، حيث يكتسبها المراهق من البيئة التي يعيش فيها ، أي من المحيطين به ، مثال ذلك :

- **دافع الحب والحنان** : حيث يحتاج المراهق إلى مزيد من حب الآخرين له ، وحنان أسرته عليه ، وذلك لما يحمل من مشاعر رقيقة .

- **دافع الولاء لمجتمعه** : كما في قول الرسول ﷺ : « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم مثل الجسد ، إذا اشتكىٰ منه عضو تداعىٰ له سائر الأعضاء بالسهر والحمى » .

- **دافع التملك** : وذلك لكي يحسّ الفرد بالأمان والطمأنينة ، وقد تاه الكثيرون في موقفهم من قضية التملك ،

فمنهم من اعتبرها شيئاً مقدساً لا يجوز لأحد أن يقترب منه ، ومنهم من اعتبرها رجساً من عمل الشيطان .

أما الشريعة الإسلامية فقد اعترفت بذلك ، ووضعت بعض القيود بهدف تهذيبها وضبطها ، قال تعالى : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴾ [آل عمران : ١٤] .

إضافة إلى ذلك فهناك بعض الدوافع الشعورية ، مثل : حب السيطرة ، ودافع العدوان ، ودافع المقاتلة ، ودافع النشاط والتحصيل والإثارة .

أجل !

هذه الدوافع الموجودة في المراهق وحوله ، إذا تُركت علىٰ ما هي عليه ، دون توجيه ولا تنظيم ، فإنها تتحول إلى طاقة تدميرية رهيبة ، لذلك وصف الله تعالى من ترك لشهواته الحبل على غاربه وصفاً دقيقاً ، فقال سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴾ [محمد : ١٢] .

ورحم الله الغزالي عندما صوّر علاقة العقل بالدوافع ، وذلك في قوله :

. . . مثل العقل مثل فارس متصيد ، وشهوته كفرسه ، وغضبه ككلبه ، فمتى كان الفارس حاذقاً وفرسه مروّضاً وكلبه مؤدباً معلّماً ، كان جديراً بالنجاح ، ومتى كان هو في نفسه أخرق ، وكان الفرس جموحاً والكلب عقوراً ، فلا فرسه ينبعث تحته منقاداً ، ولا كلبه يسترسل بإشارته مطيعاً ، فهو خليق بأن يعطب فضلاً عن أن ينال ما طلب ، وإنما خرق الفرس مثل جهل الإنسان وقلة حكمته وكلال بصيرته ، وجماح الفرس مثل غلبة الشهوة ، خصوصاً شهوة البطن والفرج ، وعقر الكلب مثل غلبة الغضب واستيلائه[1] .

ب ـ تربية الانفعالات :

عرّف إنجلز الانفعال بأنه : حالة معقّدة من الشعور يصاحبها بعض الأفعال الحركية أو الغددية ، أو أنه ذلك السلوك المعقّد الذي تسود فيه المناشط الحشوية أو الداخلية[2] .

---

(١) إحياء علوم الدين : ٣/ ٧ .
(٢) علم النفس الفسيولوجي . الدكتور كاظم آغا : ٢٠٨ ـ ٢٠٩ .

وأهم مظاهر الانفعال : احمرار الوجه ، واحمرار العينين ، واصفرار الوجه ، وانقباض الدم ، والإغماء والرعدة والرعشة للأطراف .

وفي القرآن والسنة إشارات إلى ذلك ، كما في قول الله تعالى عن العادة الجاهلية المقيتة : ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۝٥٨ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ ۚ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [النحل : ٥٨ـ ٥٩] .

وفي تصوير المشاعر والانفعالات أثناء المعركة الفاصلة بين الشرك والإيمان ، أي في غزوة بدر ، يقول تعالى :

﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ۝٩ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [الأنفال : ٩ـ ١٠] .

وأثناء حديث القرآن عن انفعال الحبّ وخاصةً حب الله ورسوله ، يأتي التصوير حركياً ، ليوحي للناس أن يتوجهوا إلى ذات المحبوب ، قال تعالى : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة : ١٢٨] .

كذلك مسألة الحب المتبادل بين الزوجين ، حيث يتحقق

الانفعال الفطري ، فتنفجر طاقات العطف والحب والمودة ، والهدف هو إشباع الدافع الجنسي والعمل على استمرار النوع الإنساني ، مصداق ذلك قوله تعالى : ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم : ٢١] .

وقول الرسول ﷺ : « حُبّب إليّ من الدنيا : النساء والطيّب وجُعلت قرة عيني في الصلاة »[1] .

والشريعة لم تشنّ حرباً على مسألة الحبّ والعواطف النبيلة الهادفة ، إنما شنّت حرباً على الحب المنفلت الذي لا تقيده قيود ولا يحمل هدفاً :

(فالتجاذب بين الجنسين ليس عورة وليس عيباً في الإسلام ، بل به تتم رجولة الرجل وأنوثة الأنثى ، غير أن الإسلام كما وضع ضوابط للجنس وضع كذلك ضوابط للحب .

فالإسلام يحترم الإنسان ذا العواطف الجادة ، لا العواطف الهازلة التي تتخذ من أعراض الإنسان مادة حيّة للهو والتسلية والمتعة الحرام .

---

(١) المسند للإمام أحمد : ٣/ ٢٨ .

وهذا بالطبع غير الحب الذي تعرضه وسائل الأعلام ، من أغنيات خليعة ، إلى مسلسلات تجارية وضيعة ، إلى أفلام ساقطة . . !!

فهذا الحب الذي تحرص عليه وسائل الإعلام اسمه (الحب الجنسي) حبّ لا أثر فيه لانسكاب الأرواح وتوحّدها ، حب خالٍ من الروحانية المحلّقة في عالم الطهر والصفاء)[1] .

وانفعال حب الوالدين أيضاً ، حيث يميل الطفل إلى حب أمه ، ثم تتسع الدائرة لتشمل أبيه وأمه معاً ، لذلك جاء التوجيه القرآني ليقوي هذا النداء الفطري ، قال تعالى :

﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [لقمان : ١٤ـ١٥] .

أضف إلى ذلك كله انفعالات الخوف : وقد درس العلماء

---

(١) عاطفة الحب بين الإسلام ووسائل الإعلام ، عبد الرحمن واصل : ١٧ ـ ١٨ .

حالات خوف المراهق فوجدوها تنحصر في : المخاوف المدرسية ، والصحية ، والعائلية ، والاقتصادية ، والخُلقية .

وعادةً ما يستجيب الإنسان إلى أمثال هذه الانفعالات ، كما قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ۝٩ إِذۡ جَآءُوكُم مِّن فَوۡقِكُمۡ وَمِنۡ أَسۡفَلَ مِنكُمۡ وَإِذۡ زَاغَتِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلۡقُلُوبُ ٱلۡحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ۝١٠ هُنَالِكَ ٱبۡتُلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَزُلۡزِلُواْ زِلۡزَالٗا شَدِيدٗا ﴾ [الأحزاب : ٩ـ١١] .

أجل !

اعترفت الشريعة الإسلامية بالانفعالات ، لكن وضعت ضوابط لها . مثال ذلك : التحذير من الغضب وعواقبه ، والاستعاذة من الشيطان ووسوساته ، والوضوء ، وعدم الاستجابة السريعة إلى المثيرات والانفعالات .

ثم الترويض على المسامحة والغفران والصفح والعفو ، وحبّ الآخرين ، والأخذ بعين الاعتبار أنهم ليسوا معصومين ، مصداق ذلك قوله تعالى : ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ

لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران : ١٣٣ـ١٣٤] .

ج ـ تربية العواطف :

يرى علماء النفس أن العاطفة هي : استعداد نفسي ينشأ عن تركيز مجموعة من الانفعالات حول موضوع معين ، ذلك لأن هذا الموضوع في خبرة الشخص الماضية كان مثيراً لعدة ميول مختلفة .

وعن أهميتها وتأثيرها في السلوك الانفعالي ، قالوا : إن العواطف تعمل دائماً على تنظيم الانفعالات لدى الفرد ، فلو ترك إنسان دون تنظيم لانفعالاته ؛ أصبحت حياته مضطربة لا نظام فيها ولا انسجام ، وبغير ذلك لا يمكن أن يتميز الإنسان عن سائر الكائنات الأخرى ، التي نستطيع أن نقول بصفة عامة ، بأنها مجرّدة من العواطف(١) .

وقسّم العلماء العاطفة إلى قسمين ، هما :

١ـ من حيث نوعية العاطفة : وتقسم هذه إلى قسمين أيضاً :

---

(١) للتوسع يراجع : علم النفس للدكتور مصطفى فهمي : ١٧١ـ١٧٢ .

- **عاطفة الحب** : وهي التي تدعو صاحبها إلى الإقدام على موضوعها ، مصداق ذلك قوله تعالى : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴾ [آل عمران : ١٤] .

- **عاطفة الكراهية** : وهي التي تدعو صاحبها إلى الإحجام عن موضوعها والنفور منه ، مصداق ذلك قوله تعالى : ﴿ ۞ وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾ لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [التوبة : ٤٦-٤٧] .

٢- من حيث الموضوع الموجه إليه العاطفة : وهذه تنقسم بدورها إلى أقسام عدة :

- عواطف تتعلق بالمثل العليا ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة : ٧١] .

- عواطف جمعية : أي التي تدور موضوعاتها حول جماعة

معينة ، مصداق ذلك قوله تعالى :

﴿ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾ [آل عمران : ٢٨] .

ـ عواطف فردية : وهي التي تتجه نحو فرد معين ، مثل حب الأم لطفلها .

أجل !

فالشريعة الإسلامية لم تُنكر جانب العواطف أبداً ، إنما سعت إلى تهذيبها واستبدال السلبية بالإيجابية ، مثال ذلك :

موقف الشريعة من المال ، حيث نظّمت له الطرق الحلال ، وأبعدت عنه كل وسائل الحرام ، قال تعالى : ﴿ فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ . . ﴾ [الفجر : ١٥ـ٢٥] .

د ـ تربية العادات :

عرّف (ابن مسكويه) العادة بقوله : هي عبارة عن هيئة في النفس راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر ورويّة ، فإن كانت الهيئة التي تصدر الأفعال الجميلة المحمودة شرعاً وعقلاً سمّيت تلك الهيئة خلقاً حسناً ، وإن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة ، سمّيت الهيئة التي هي المصدر خلقاً سيئاً[١] .

أما أنواع العادات ، فيقسمها الإمام الغزالي إلى عدة أقسام ، هي :

ـ عادات حركية : تتعلق بحركات الجسد ، ويسيطر عليها المظهر النزوعي ، مثل عادة الكتابة ، ويدخل تحتها ما يتعلّق بعادات الطعام والملبس واللعب .

ـ وعادات عقلية : تتمثل بميل النفس إلى سلوك نظام ثابت في بعض نواحي الإنتاج العقلي ، كفقه النفس والتفكير عامة .

ـ وعادات وجدانية : تتصل بالعواطف المختلفة التي يربى عليها الإنسان ، حين تنطلق نحو الحقيقة والفضيلة والجمال .

---

(١) تهذيب الأخلاق : ٥١ـ٥٢ .

ـ وعادات أخلاقية : إذْ أننا لا نستطيع أن نبحث العادة عند الغزالي وعند الأقدمين في معزل عن الأخلاق ، لأن الأخلاق تتم بالاعتياد والاكتساب ، وتعود الصلة بين العادة والأخلاق إلى أرسطو الذي كان يعتمد على العادة لتربية الفضائل الخلقية[1] .

لكن هل تُترك المسألة للمصادفة والزمن ؟!

أبداً ، إنما لا بد من دراسة هادفة لكل العادات ، ثم فرز العادات السلبية ، ومن ثم تبني كل ما هو إيجابي .

وقد رسم القرآن والسنة منهجاً متكاملاً للاعتياد على الفضائل ، مثال ذلك : تربية الفرد على عدم تأجيل الفرائض ، قال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [المؤمنون : ٩] .

كذلك تربية المراهق على عادة عدم تأجيل الواجبات المدرسية ، وعلى عادة الصدق ، والسخاء ، ونحو ذلك .

لكن ذلك لا بد له من مراحل ، مثل مرحلة المجاهدة ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت : ٦٩] .

والمجاهدة لا تعني حرمان النفس من متع الدنيا ، والزهد ،

---

(١) الدراسات النفسية عند المسلمين ، عبد الكريم عثمان : ٢٢٦ .

والتقشف ، إنما تعني الاعتدال في التمتع ، وهذا ما جعل الصحابة الكرام والتابعين يعيشون السعادة كلها ، حتى إن الواحد منهم لم يكن لديه عشاء ليلته ، ثم كان يقول مفتخراً : إنا نعيش في سعادةٍ لو علمت بها الملوك لقاتلونا عليها بالسيوف!!

وكذلك مرحلة التكرار ، أي تكرار السلوك المعني حتى يصير عادة ثابتة ، منطبعة في النفس تجد لذتها وراحتها فيه ، كما في قوله تعالى :

﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف : ٢٠٥] .

وهكذا ، فلا بدّ لتحويل العادات السيئة إلى عادات حسنة من أن تمر بعدة مراحل :

١ـ مرحلة كراهية العادة السيئة : ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان : ١٨] .

٢ـ مرحلة الندم : ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ﴾ [الزمر : ٥٦] .

٣ـ مرحلة عادة هجر المعصية : ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات : ٤٠ـ٤١] .

* * *

الباب الخامس

فقه المراهَقة!!

الباب الخامس

فقه المراهَقة!!

يعاني المراهق ـ ذكراً كان أم أنثىٰ ـ بعض الصعوبات في الاستفسار عن أمور تمسّ واقعه ، بسبب خلال الحياء والخجل ، وكذلك بسبب عدم نشر الثقافة الإسلامية ، وخاصة المتعلقة بمرحلة المراهقة والشباب ، لذلك تراه يلوذ بالصمت ، وقد يقع في محظورات نتيجة لذلك!

وبعيداً عن التشدد والتنطّع أريد أن أقدّم مختصراً عن بعض هذه الأمور ، مع الإشارة إلى المراجع والمصادر لمن أراد الاستزادة[1] :

١ـ الاحتلام :

قال العلماء : لو احتلم في المسجد ، وجب عليه الخروج منه ، إلا أن يعجز عن الخروج لإغلاق المسجد ونحوه ، أو

---

(١) للتوسع في هذا الباب يراجع سلسلة : قضايا الزواج . للمؤلف ، ط١ مؤسسة الرسالة بيروت ، خاصة الجزء الأول والثالث .

خاف على نفسه أو ماله ، فإن عجز أو خاف ، جاز أن يقيم للضرورة ، ولا يتيمم بتراب المسجد فيحرم ذلك ، فإن خالف وتيمم صحّ ، ولو أجنب خارج المسجد ، والماء في المسجد ، لم يجز أن يدخل ويغتسل في المسجد ، لأنه يلبث لحظة مع الجنابة .

ومن الأمور التي لا تفسد الصوم ـ عند الحنفية ـ : . . . إنزال المنيّ بنظر أو فكر ، وإن أدام النظر والفكر ، لأنه لم يوجد منه صورة الجماع ولا معناه ، وهو الإنزال عن مباشرة وإن كان آثماً ، وفعل المرأتين (السحاق) بلا إنزال منهما لا يفسد الصوم ، لكن الفاعل يأثم ، ولا يلزم من الحرمة فيما ذكر الإفطار ، وكذا لا يفطر بالاحتلام نهاراً[١] .

٢ـ الاستحداد :

قال العلماء : هو حلق العانة ، وهو سنّة بالاتفاق ، ويكون بالحلق ، والقص ، والنتف ، والنورة (الكلس) .

قال النووي رحمه الله : والأفضل الحلق ، والمراد بالعانة : الشعر النابت حول فرج الرجل ، أو فرج المرأة .

---

(١) الفقه الإسلامي وأدلته ، للدكتور وهبة الزحيلي : ٣/ ١٧١٠ .

. . . وقال الغزالي في الإحياء : لا ينبغي أن يقلّم أو يحلق أو يستحدّ أو يخرج دماً أو يبين من نفسه جزءاً وهو جنب ، إذ يردّ إليه سائر أجزائه في الآخرة ، فيعود جنباً ، ويقال : إن كل شعرة تطالب بجنابتها[١] .

٣ـ السّحاق :

وهو فعل النساء بعضهن ببعض ، وحكمه التحريم ، وعقوبته التعزير .

واعتبر المالكية أن السحاق لا غسل فيه إن كان بلا إنزال .

٤ـ اللّواط :

قال مالك والشافعي وأحمد : إن اللواط يوجب الحدّ ، لأن الله سبحانه غلّظ عقوبة فاعله في كتابه المجيد ، فيجب فيه حدّ الزنى ، لوجود معنى الزنى فيه .

وقال أبو حنيفة : يعزرّ اللوطي فقط ، إذْ ليس في اللواط اختلاط أنساب ، ولا يترتب عليه غالباً حدوث منازعات تؤدي إلى قتل اللائط ، وليس هو زنى .

---

(١) الفقه ـ المرجع السابق ـ : ١/ ٥٣٧ .

وحدّ اللائط عند الشافعية : هو حدّ الزنى ، وحدّه عند المالكية والحنابلة الرجم بكل حال[1] .

٥ـ المذي والودي والمني :

المذْي : هو ماء أبيض رقيق يخرج عند ثوران الشهوة أو تذكّر الجماع بلا تدفّق ، وهو نجس للأمر بغسل الذكر منه والوضوء .

والوَدْي : ماء أبيض كدر ثخين يخرج عقب البول : إن أخبر طبيب عدل بأنها منعقدة من البول فهي نجسة ، وإلا فهي متنجسة تطهر بالغسل .

والمني : هو الماء الغليظ الدافق الذي يخرج عند اشتداد الشهوة .

والحكم الشرعي : ليس في المذي والودي غسل ، وفيهما الوضوء وغسل الذكر .

أما المني ، فإذا خرج بغير لذة أو شهوة كمرض ونحوه لم يوجب غسلاً ، كما أن سلس المني لا غسل عليه ، وإنما يجب

---

(١) المرجع السابق : ٧/ ٥٣٩٣ .

الوضوء فقط ، وأما إذا خرج بلذة أو شهوة فيوجب ذلك الغسل[1] .

٦ـ الاستمناء باليد (العادة السرّية) :

(وقد يثور دم الغريزة في الشاب فيلجأ إلى يده ، يستخرج بها المني من جسده ليريح أعصابه ، ويهدئ من ثورة الغريزة ، وهو ما يعرف اليوم بالعادة السرية) .

وقد حرّمها أكثر العلماء ، واستدلّ الإمام مالك بقوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَـٰفِظُونَ ۝ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴾ [المؤمنون : ٥ـ ٨] ، والمستمني بيده قد ابتغىٰ لشهوته شيئاً وراء ذلك .

وروي عن الإمام أحمد أنه اعتبر المني فضلة من فضلات الجسم ، فجاز إخراجه كالفصد ، وهذا ما ذهب إليه وأيّده ابن حزم ، وقيد فقهاء الحنابلة الجواز بأمرين :

- الأول خشية الوقوع في الزنى .
- والثاني عدم استطاعة الزواج .

---

(١) المرجع السابق : ١/ ٥١٥ .

ويمكن أن نأخذ برأي الإمام أحمد في حالات ثوران الغريزة وخشية الوقوع في الحرام ، كشاب يتعلّم أو يعمل غريباً عن وطنه ، وأسباب الإغراء أمامه كثيرة ، ويخشىٰ على نفسه العنت ، فلا حرج عليه أن يلجأ إلى هذه الوسيلة يطفئ بها ثوران الغريزة ، على أن لا يسرف فيها ويتخذها ديدناً .

وأفضل من ذلك ما أرشد إليه الرسول الكريم الشاب المسلم الذي يعجز عن الزواج ، أن يستعين بكثرة الصوم ، الذي يربي الإرادة ، ويعلّم الصبر ، ويقوي ملكة التقوىٰ ومراقبة الله تعالىٰ في نفس المسلم ، وذلك حين قال : « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، فإنه أغضّ للبصر ، وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء » كما رواه البخاري[1] .

٧ـ الجنابة :

قال الإمام النووي : تُطلق الجنابة في الشرع على من أنزل المني ، وعلى من جامع ، وسمي جنباً ؛ لأنه يتجنب الصلاة والمسجد والقراءة ، ويتباعد عنها[2] .

---

(١) الحلال والحرام للدكتور يوسف القرضاوي : ١٦٧ .

(٢) المجموع : ٢/١٥٩ .

وأسباب الجنابة :

أولاً : غيبوبة الحشفة أو قدرها من مقطوعها في قُبل أو دُبر امرأة أو رجل ، وسواء أحصل إنزال أم لم يحصل ، وهذا بالنسبة للبالغين من الرجال والنساء باتفاق .

ثانياً : خروج المني بشهوةٍ من رجلٍ أو امرأةٍ ، سواء أكان عن احتلام أم استمناء ، أم نظر ، أم فكر ، أم تقبيل ، أم غير ذلك ، وهذا باتفاق .

ويباح للجنب : الذكر ، والتسبيح ، والدعاء ، والطعام ، والشراب ، والنوم ، والأذان مع الكراهة ، وخطبة الجمعة مع الكراهة .

ويحرم عليه : الصلاة ، والطواف ، ومسّ المصحف أو حمله أو كتابة القرآن بل وحتى قراءة شيء : من القرآن ! !

كذلك يحرم عليه مسّ الدراهم التي عليها شيء من القرآن[1] ! !

---

(١) للتوسع يراجع الموسوعة الفقهية الصادرة عن وزارة الأوقاف الكويتية : ١٦/ ٤٩_٥٣ ، لكن بعد الدراسة والتمحيص تبيّن لنا ما يلي :

الأدلة على تحريم قراءة القرآن أو مسّه أو حمله أو كتابته ، بالنسبة للجنب ، كلها ضعيفة أو مرسلة أو موضوعة ، مثال ذلك حديث =

وترتفع الجنابة بالغسل ، والتيمم .

٨ـ الختان والخفض :

قال الفقهاء : الختان هو قطع جميع الجلدة التي تغطي حشفة ذكر الرجل ، حتى ينكشف جميع الحشفة ، وفي المرأة قطع أدنىٰ جزء من الجلدة التي في أعلى الفرج ، ويسمى ختان الرجل إعذاراً ، وختان المرأة : خفضاً ، فالخفض للنساء كالختان للرجال .

ويستحب أن يكون في اليوم السابع من الولادة ، والأظهر أنه يحسب يوم الولادة ، وهو سنّة للرجل ، مكرمة للمرأة عند

= الترمذي : « لا تقرأ الحائض ولا الجنب شيئاً من القرآن » قال ابن حجر في التلخيص : ١٣٨/١ : حديث ضعيف .

ورحم الله الإمام ابن حزم (ت : ٤٥٦هـ) عندما قال :

(وقراءة القرآن والسجود فيه ومسّ المصحف وذكر الله تعالى جائز كل ذلك بوضوء وبغير وضوء ، للجنب والحائض .

ثم قال : وأما مسّ المصحف : فإن الآثار التي احتجّ بها من لم يجز للجنب مسّه ، فإنه لا يصحّ منها شيء ، لأنها إما مرسلة ، وإما صحيفة لا تسند ، وإما عن مجهول ، وإما عن ضعيف . . .) وللتوسع يراجع كتابه المحلّى : ٧٧/١ ـ ٨٥ .

الحنفية والمالكية ، لحديث أحمد والبيهقي : « الختان سنّة في الرجال ، مكرمة في النساء » .

وواجب عند الشافعية والحنابلة للذكر والأنثى ، والدليل على ذلك قوله صلوات الله عليه ـ فيما رواه أبو داود ـ لرجل أسلم : « ألق عنك شعر الكفر ، واختتن » .

والدليل على أنه مكرمة لا واجب للنساء عند الحنابلة حديث : « الختان سنّة للرجال ، ومكرمة للنساء » وحديث : « أشمّي ولا تنهكي »[1] .

وفي حديث أم عطية : « إذا خفضتِ فأشمّي »[2] .

٩ـ الاستحاضة :

معناه أن يستمر بالمرأة خروج الدم بعد أيام حيضها المعتاد ، وقال ابن عابدين : وعلامته أن لا رائحة له ، بينما دم الحيض منتن الرائحة ، ويسمّون دم الاستحاضة دماً فاسداً ، ودم الحيض دماً صحيحاً[3] .

---

(١) أي : اقطعي بعض النواة ولا تستأصليها .
(٢) الفقه الإسلامي : ١/ ٤٦١ .
(٣) مجموع رسائل ابن عابدين : ١/ ٧٤ .

١٠ـ الطهر :

لغة : النقاء من الدنس والنجس ، فهو نقيض النجاسة ونقيض الحيض ، والجمع أطهار ، وطهرت المرأة ، وهي طاهر : انقطع عنها الدم ورأت الطهر ، فإذا اغتسلت قيل : تطهرت واطّهرت[١] .

١١ـ القُرء :

القَرء والقُرء : الحيض ، والطهر ، فهو من الأضداد ، والجمع أقراء وقروء وأقرؤ ، وهو في الأصل اسم للوقت .

قال الشافعي : القرء اسم للوقت ، فلما كان الحيض يجيء لوقت ، والطهر يجيء لوقت ، جاز أن يكون الأقراء حيضاً وأطهاراً .

والقرء عند أهل الحجاز : الطهر ، وعند أهل العراق : الحيض[٢] .

١٢ـ النفاس :

شرعاً : هو الدم الخارج عقب الولد ، وقال المالكية

---

(١) لسان العرب : مادة (طهر) .

(٢) لسان العرب : مادة (حيض) .

والحنابلة : هو الدم الخارج بسبب الولادة .

وقال النووي : النفاس عند الفقهاء : الدم الخارج بعد الولد .

١٣ـ الحيض :

عرّفه الشافعية بأنه : دم جِبلَّة يخرج من أقصى رحم المرأة بعد بلوغها على سبيل الصحة من غير سبب في أوقات معلومة[١] .

وقال الحنابلة : دم طبيعة يخرج مع الصحة من غير سبب ولادة ، من قعر الرحم ، يعتاد أنثى إذا بلغت في أوقات معلومة .

لذلك يجب على الفتاة أن تتعلم أحكام الحيض ، وذلك لما يترتّب عليه من أعظم المهمات ، خاصة أحكام الطهارة ، والصلاة ، والاعتكاف ، والصوم ، والطلاق ، والعدة ، وما إلى هنالك .

وأهم شروط دم الحيض هي :

أ ـ أن يكون من رحم امرأة لا داء بها .

---

(١) مواهب الجليل : ١/ ٣٦٤ ، وحاشية الدسوقي : ١/ ١٦٨ .

ب ـ ألا يكون بسبب الولادة .

ج ـ أن يتقدمه نصاب الطهر : عند الحنفية خمسة عشر يوماً مثلاً .

د ـ ألا ينقص الدم عن أقل الحيض : أي عن مدته .

هـ ـ أن يكون في أوانه ، أي ما بين عمر تسع سنين وسن الإياس .

وأما ما يترتب على الحيض فهو :

أ ـ البلوغ : حيث يبدأ التكليف ، والدليل قول النبي ﷺ : « لا يقبل الله صلاة حائضٍ إلا بخمار »[1] .

ب ـ التطهر : صرّح الحنفية والمالكية والشافعية بأنه لا تصحّ طهارة الحائض ، فإذا اغتسلت الحائض لرفع حدث الجنابة ، فلا يصحّ غسلها[2] .

فإذا انقطع الدم وجب على المرأة أن تغتسل لاستباحة ما كانت ممنوعة منه بالحيض ، دليل ذلك قول النبي ﷺ

---

(١) سنن الترمذي : ٢/ ٢١٥ ، سنن أبي داود : ١/ ٤٢١ .

(٢) المجموع : ٢/ ٣٤٩ ، والبحر الرائق : ١/ ٢٠٣ ، حاشية الدسوقي : ١/ ١٧٣ .

لفاطمة بنت أبي حبيش : « دعي الصلاة قدر الأيام التي كنت تحيضين فيها ثم اغتسلي وصلّي » .

ثم إنه لا خلاف بين الفقهاء في طهارة جسد الحائض ، وعرقها ، وسؤرها ، وجواز أكل طبخها وعجنها ، ودليل ذلك قول الرسول ﷺ : « اصنعوا كل شيء إلا النكاح »[1] .

ج ـ الصلاة : اتفق الفقهاء على عدم صحة الصلاة من الحائض ، وليس عليها قضاء .

د ـ الصوم : يحرم على الحائض صوم فرض أو نفل ، وعليها قضاء رمضان .

هـ ـ مناسك الحج : لا يمنع الحيض شيء من أعمال الحج إلا الطواف[2] .

١٤ـ قضايا الغريزة :

لم تحارب الشريعة الإسلامية قضايا الغريزة ، ولم تُطلق لها العنان ، إنما وضعت لها قيوداً وضوابط .

مثال ذلك تحريم الخلوة بالأجنبية ، مصداق ذلك ما ورد

---

(١) صحيح مسلم : ١/٣٤٦ .

(٢) للتوسع يراجع : الموسوعة الفقهية الكويتية : ١٨/ ٢٩١ـ٣٢٧ .

في الصحيحين عن النبي ﷺ : « لا يخلونّ أحدكم بامرأة إلا مع ذي محرم » .

كذلك تحريم إطالة النظر من الرجل إلى المرأة ومن المرأة إلى الرجل .

وفي هذا الأمر يتشدّد المتشددون ، ويطلقون فتوى ما أنزل الله بها من سلطان ! !

علماً أن صريح القرآن على أمر الغض من البصر لا بغض البصر ، مصداق ذلك قوله تعالى :

﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ . . . . . * وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ﴾ [النور : ٣٠ـ٣١] .

ولا يحرم النظر إلى وجه المرأة وكفّيها ـ ما لم تصحبه شهوة أو فتنة ـ كذلك في مسألة اللباس ، حيث لا يوجد زيّ إسلامي ملزم ، لا للرجال ولا للنساء ، إنما وضعت الشريعة الإسلامية بعض الشروط ـ خاص بلباس المرأة ـ وهي :

أ ـ أن يغطي جميع الجسم عدا الوجه والكفين .

ب ـ ألا يشفّ ويصف ما تحته .

ج ـ ألا يحدّد أجزاء الجسم ، ويبرز مفاتنه .

د ـ ألا يكون مما يختص بلبسه الرجال .

هـ ـ ألا يكون لباساً اختص بلبسه الكافرات .

و ـ ألا تتعمّد جذب انتباه الرجال إلى ما خفي من زينتها بالعطور ونحو ذلك .

وأما ما يحرم على الرجال فهو التحلّي بالذهب ، ولبس الحرير الخالص .

ويدخل في هذا الباب تحريم الوشم والوشر وجراحات التجميل والنّمص ، ووصل الشَّعر ، وما إلى هنالك[1] .

١٥ـ ساعة وساعة ! !

يرفض الإسلام التحليق في المثالية والخيال ، ويركز على الحقائق وأرضية الواقع .

وقد بيّن ذلك الإمام عليّ رضي الله عنه بقوله : روّحوا القلوب ساعة بعد ساعة ، فإن القلب إذا أُكره عمي[2] .

لذلك أباحت الشريعة جملةً من أمور اللهو والترفيه ، مثال ذلك :

---

(١) للتوسع في ذلك يراجع الباب الثاني من كتاب : النشاطات الاجتماعية للمرأة المسلمة ، للمؤلف : ٩٧ ـ ١٣٥ .

(٢) للتوسع يراجع كتاب : هَلَكَ المتنطّعون ، للمؤلف : ٤٩ ـ ٦٦ .

إباحة المزاح المنضبط : أعط الكلام من المزاح بقدر ما يُعطىٰ الطعام من الملح .

وإباحة مسابقة الجري على الأقدام ، والمصارعة ، واللعب بالحراب والسهام وإباحة ألعاب الفروسية ، والصّيد ونحو ذلك .

واختلف في لعبة الشطرنج ، لكن الأرجح هو الإباحة .

وكذلك مسألة الغناء والموسيقا ، حيث كل ما ورد في تحريمه فهو مثخن بالجراح لم يسلم منها حديث من طعن عند فقهاء الحديث وعلمائه ، وقال ابن العربي : لم يصحّ في تحريم الغناء شيء ، وقال ابن حزم : كل ما روي فيها باطل موضوع[1]!!

وهكذا في كل الأمور والوسائل العلمية الإعلامية الحديثة :

فالتلفزيون والفيديو والستلايت والإنترنيت والكومبيوتر ونحو ذلك ، كلها أسلحة ذات حدّين ، فيمكن الأخذ بإيجابياتها وترك سلبياتها .

---

(١) للتوسع يراجع كتاب الحلال والحرام ـ مرجع سابق ـ : ٢٩٢ـ٢٩٣ .

لكن الأفضل هو استخدامها للصالح العام ، وذلك من خلال الدخول إليها ، وإيجاد الأفلام البديلة والهادفة ، أي (أَسْلَمتها) ، ولا ينقص أفراد الأمة كوادر لذلك ، إنما لا بدّ من انفتاح العلماء على هذه الوسائل واستخدامها بالوجهة الصحيحة .

وإلا إذا بقي بعضهم في قوقعاتهم . . وليس لهم إلا رفع بطاقات تحريم كل ما هو حديث ، معنى ذلك أننا سنبقى في آخر الركب ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ! !

وصدق الله تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ﴾ [الأعراف : ٣٢] .

* * *

الخاتمة

ما هو الحل ؟!

كثيراً ما تسمع شكاوى تصدر من آباء وأمهات عن أولادهم!

ولده أصبح في المرحلة الإعدادية ويريد أن يفرض آراءه عليه!

ابنتها كبر جسمها وما زال عقلها عقل طفلة ، ولا يعجبها تصرّفات أهلها ، وتنظر إليهم على أساس أنهم لا يواكبون العصر ، وبالتالي فهم متخلّفون!!

أولادها يطرحون أسئلة حرجة وحساسة ، وهي تقف عاجزة عن الإجابة!!

هو خائف على مستقبل ولده ، فهو يهرب كثيراً من البيت ، ومن المدرسة ، ولا يعجبه العجب ، ويقضي غالبية أوقاته مع أصدقائه (الشلة)!!

آباء وأمهات يطرحون أسئلة كثيرة : ماذا استفدنا من تربية أولادنا ؟ ليتهم بقوا صغاراً!!

مراهق بالغ يسأل : أريد إجاباتٍ صريحة عن بعض القضايا المتعلقة بالغريزة والحب والجنس ، وأعجب من تهرّب الكبار من أسئلتي ؟!

إذاً : ما هو الحل أمام ذلك كله ؟!

لا بدّ من المصارحة ، بين الأهل والمراهق ـ أو المراهقة ـ بحيث نتقبّل بدايات استقلال شخصيته من كل النواحي .

ولا بدّ من إحاطته بالعطف والحنان والرعاية والحب ، وإشعاره بأننا نتفهّم الفترة التي يمرّ بها ، ونتطلع إلى مساعدته في حلّ مشاكله ، فهو ولدنا ، نحبه الآن كما كنا نحبه وهو طفل .

وعلىٰ المدرسين والمربين أن ينتبهوا إلى مسألة الانفتاح على مشكلات المراهقين ، وعدم صدّهم عن الاستفسارات .

وعلىٰ جماعة الأدب والفن ألا يطرحوا الأمور التي تهيّج مشاعر المراهقين وتزيد في اشتعالها ، إنما عليهم أن يقوموا بتوجيه تلك الطاقات إلى القضايا المفيدة ، كالتعلّم والرياضة والفروسية ونحو ذلك .

وعلينا نُشيع روح الثقة بيننا وبينهم ، وأن ننزع من صدورهم الشك والارتباك ، والقلق وعدم الراحة ، ذلك لأن المراهقين ـ كما مرّ سابقاً ـ أصحاب شعور رقيق ، وإحساس مرهف ، وملاحظات دقيقة .

وإلا ، فالتأنيب والتهديد والزجر والتعنيف لن يسبّب إلا مسخ شخصية المراهق ، ومزيداً من القلق والتخوّف من الآخرين ، وعدم استطاعته مجابهة التحديات والتوقعات المحتملة .

وعلينا ألا نُبقي تعاملنا معهم كما كان في عهد الطفولة ، إنما لا بدّ من الانتباه إلى أن المراهقين أصبحوا في دور النضج والبلوغ ، وهم يعتقدون في قرارة أنفسهم أنهم أصبحوا يعرفون أكثر من الكبار ، ويعيشون الأحلام المخملية!!

وعلينا أن نمسك العصا في المنتصف ، فلا ندعهم يتصرّفون كما يحلو لهم ، دون رقيب ولا قيود ، كذلك لا نراقب كل تحركاتهم ، حتى يقتنعوا أنهم يعيشون في سجن يُطلق عليه البيت!! إنما لا بدّ من التدخل في بعض الحالات الاضطرارية ، وإلى مدى محدود ، مع مراعاة قضية مهمة هي أن نشعرهم أننا نقتنع أنهم يسيرون على طريق الهداية ، ونحن

لا نفرض الآراء عليهم ، إنما نبيّن لهم مزيداً من الاحتمالات والحلول .

وعلينا أن نصحبهم إلى سهراتنا ورحلاتنا ؛ ليشعروا بأنهم جديرون بالثقة ، وحمل المسؤوليات الجسيمة .

ثم علينا أن نتكاتف جميعاً لمعالجة المشكلات التي يواجهها المراهقون .

وإلا ما فائدة أن يُطرح في المسجد حلولٌ لمشكلة ما ، ثم تطرح وسائل الإعلام بذلك رأياً معاكساً ؟!

أو أن يضع المربّون برنامجاً لحل تلك المشكلات ، ثم لا تتعاون الأسرة معهم ؟!

بل لا بدّ من السير جميعاً على ما يريد القرآن الكريم ، وما سار عليه الأسوة والقدوة صلوات الله عليه ، مصداق ذلك قوله تعالىٰ : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٢١] .

نسأل الله الهداية والصلاح والرشاد ، ونطلب منه سبحانه أن يحلحل مشاكل العزوبة والعنوسة في بلادنا ، وأن يجنّب شبابنا وفتياتنا الفتن وما أكثرها في هذه الأيام .

وصلى الله على خاتم الأنبياء والمرسلين ، وعلى آله وصحابته أجمعين ، وعلىٰ كل من سار على هذا النهج إلى يوم الدين .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

* * *

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم وبعض تفسيراته .
- كتب الأحاديث النبوية ، كالصحاح والسنن والمسانيد .
- سبل السلام شرح بلوغ المرام ، للصنعاني ، ط١١ سنة ١٩٩٨ ، دار الكتاب العربي . بيروت .
- الموسوعة الفقهية ، وزارة الأوقاف بالكويت ، ط١ سنة ١٩٩٥ ، دار الصفوة ـ الكويت .
- الفقه الإسلامي وأدلته ، الدكتور وهبة الزحيلي ، ط٤ سنة ١٩٩٧ ، دار الفكر بدمشق .
- لسان العرب ، لابن منظور ، ط١ سنة ١٩٩٦ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
- البداية والنهاية ، للحافظ ابن كثير ، ط دار الكتب العلمية بيروت (د . ت) .
- في ظلال السيرة النبوية ، الدكتور محمد عمر الحاجي ، ط١ سنة ٢٠٠٣ دار المكتبي بدمشق .

- سيكولوجية الطفولة والمراهقة ، شيفروملمان ، ترجمة سعيد العزة ، ط مكتبة دار الثقافة بعمان .
- النمو النفسي للطفل والمراهق ، محمد زيدان ، ط٤ سنة ١٩٩٤ دار الشروق ، جدة .
- المراهقون ، سمير الراضي ، ط سنة ١٩٨٣ رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة .
- التربية الإسلامية للطفل والمراهق ، محمد محفوظ ، ط سنة ١٩٨٦ دار الاعتصام ، القاهرة .
- أسرار المراهقة والبلوغ ، سيجمند فرويد ، تلخيص فؤاد ناصر ، ط سنة ١٩٥٥ منشورات حمد ، بيروت .
- دليل الآباء والمعلمين في مواجهة المشكلات اليومية للأطفال والمراهقين ، سعدية بهادر ، ط٢ سنة ١٩٨٤ ، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي .
- خفايا المراهقة ، معروف زريق ، ط٢ سنة ١٩٨٦ دار الفكر بدمشق .
- تربية المراهق بين الإسلام وعلم النفس ، محمد الزعبلاوي ، ط١ سنة ١٩٩٤ مكتبة التوبة بالرياض .

- المراهقون ، عبد العزيز النغيمشي ، ط٣ سنة ١٩٩٥ دار المسلم بالرياض .
- إطلالة قرآنية على بيت النبوة ، الدكتور محمد عمر الحاجي ، ط١ سنة ١٩٩٩ دار غار حراء ، دمشق .
- الحلال والحرام في الإسلام ، الدكتور يوسف القرضاوي ، ط١٠ سنة١٩٧٦ مكتبة وهبة ، القاهرة .
- إضافة إلى بعض المقالات والأبحاث والجرائد والمجلات ، ذُكرت في حينها .

* * *

المحتوى

الباب الثالث
حاجات المراهق ومشكلاته

الباب الرابع
شخصية المراهق

الباب الخامس
فقه المراهَقَة

دُنيا المُراهقة

كثيراً ما تسمع شكاوى تصدر من الآباء والأمهات عن أولادهم ! !

وكثيراً ما يطرح المراهقون أسئلة حرجة ، ولا يجدون لها أجوبةً صريحة ! !

- فما أهم ظواهر مرحلة المراهقة ؟

- وما أهم حاجات المراهق ؟

- وماذا عن المشكلات التي يعاني منها المراهق ؟

- وما أهم انعكاسات المراهقة ؟

- وما أهم العوامل المؤثّرة في تكوين شخصية المراهق ؟

- وماذا عن أهم الأمور الفقهية التي تهمّ المراهق ؟

- ثم لماذا تُعتبر مرحلة المراهقة أخطر مرحلة في حياة الإنسان ؟ !

. . . أسئلةٌ حرجةٌ . . . يُجيب عنها الأستاذ الدكتور أجوبةً صريحة ، وذلك حسب الميزان القرآني والنبويّ . . .

وتأمل الدار الناشرة أن يكون في هذا الكتاب البلْسم الشافي لكثيرٍ من الأسئلة ، والمشاكل .

دارُ المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com
سورية - دمشق - حلبوني - جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ هاتف ٢٢٤٨٤٣٣ فاكس ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy